Nahas
Publishing House

سلسلة روايات الجيب

الحقيقة المزيفة

١١٠-أ

A-110

روايات رومانسية

بلا عنوان

باربرا كارتلاند

BARBARA CARTLAND

الفصل الأول

نظرت إيلينا لانغلي حولها في الغرفة وتساءلت بمرارة اذا كان هناك أي شيء ذا قيمة بعد لتتمكن من بيعه.

كل شيء له أي قيمة حقيقية قد باعته.

شعرت ان آثار المرايا على الحيطان والفراغ الذي تركه الطائر المرصع يجعلانها تبكي.

تساءلت: «ماذا استطيع ان افعل؟ ماذا افعل؟»

بدا الأمر غير معقول حول تسارع الأمور.

من الاحساس بالامن والسعادة في كل ما يحيط بها إلى التقيد تماماً وكأن الدنيا انهارت على رأسها.

عندما سقط والدها في السنة الماضية برحلة صيد على عموده الفقري شعرت أمها وكأن حياتها قد انتهت.

فلقد كانا سعداء جداً مع بعضهما.

لم يكن والدها غنياً، لكن لديه ما يكفي ليعيش بسعادة مع بعض الخيول وآلاف الامتار المعتنى بها حول بيتهم.

لكن، بعد ان توفي السيد اوزوالد وجدت والدتها ان هناك ديون عليهم كالجبال.

لم تكن عائلتهم معتادة على الحياة الصعبة.

لم يدفع والدها الضرائب المتوجبة عليه، كما انه كان مديناً للمتعهد والعمال الذين رمموا له البيت.

والاسوأ من كل هذا، انه كان يوظف امواله في شركات خاسرة له ولزوجته وبذلك بدد كل المال بدون طائل.

مهما كان الأمر، السيدة لانغلي لم تقلق نفسها بكل هذه الأمور.

كل الذي كان يعنيها انها بلا زوجها، لا رغبة لها في الاستمرار بالعيش.

كانت ايلينا تشعر بالرعب لرؤية والدتها تذوب وتنهار.

فلقد كانت شابة جميلة جداً وتبدو كالفتاة الصغيرة.

من شدة الحزن والبكاء توفيت السيدة لانغلي ببساطة.

عندما علمت ايلينا انها اصبحت وحيدة في هذه الدنيا، والأسوأ من كل هذا انه لم يكن لديها أي مال لتعيش منه.

اصبح البيت لها لأنها الطفلة الوحيدة لهما، لكن كيف ستتمكن من الاستمرار؟

لقد باعت كل ما له قيمة لتتمكن من تسديد ديون والدها ولتدفع ثمن الطعام والدواء لأمها.

لكن كان الأمر مضيعة للمال إذ أن السيدة لانغلي لم تتحسن قط ولم يكن لها الرغبة بذلك.

سارت ايلينا نحو النافذة لتنظر إلى الحديقة.

كانت زهور شم النسيم كالمرجة الذهبية تحت الاشجار.

وكانت زهور اللوز تتفتح على الاشجار والعشب الاخضر يغطي المروج.

فتحت النافذة لتدخل اشعة الشمس إلى البيت.

كانت تسمع زقزقة العصافير وازيز النحل يتنقل فوق الازهار.

كل شيء جميل ومألوف.

شعرت ان كل ما حولها يواسيها في محنتها.

لكن كيف يستطيعون ان يساعدوها!!

سألت العصافير التي كانت تراقبها بين العليق: «ماذا افعل؟»

عندها ولدهشتها سمعت صوت عربة تقترب من الباب الأمامي.

تساءلت اترى من يكون؟

لم يزرها احد بعد وفاة أمها الا بعض الفلاحين من القرية.

فكرت، ربما هو الطبيب، فلقد كان صديقاً عزيزاً لعائلتها.

عندها تذكرت انه ذهب برحلة خارج المنطقة لعدة أيام.

ببطء ولأنها انزعجت من كونها ستتعرف إلى دخلاء سارت من غرفة الاستقبال إلى القاعة.

غادرت المرأة التي تنظف لها البيت باكراً، لذلك ذهبت وفتحت الباب بنفسها.

عربة جميلة جداً كانت تقف امام الباب.

رأت وجهاً جميلاً تعرفه جيداً من نافذتها جعلها تصرخ بتعجب وفرح.

«منيز! هل هذا حقاً أنت؟»

ركضت بسرعة على السلم لترى صاحبة الوجه الجميل تتألق بكل اناقة وكياسة في العربة، فتحت ذراعيها لها

وقالت: «دنيز، كم تسعدني رؤيتك، اعتقدت انك نسيتني نهائياً.»

اجابت دنيز سدجويك: «لا، بالطبع لا، لكن اتيت اليك طلباً للمساعدة.»

رددت ايلينا وراءها بتعجب: «مساعدتي؟»

لم تكن تتخيل كيف ان دنيز سدجويك ترغب بمساعدتها.

لقد كانت أمها تمت بقرابة بعيدة لعائلة سدجويك وكانت صديقة عزيزة لوالدة دنيز قبل وفاتها.

وبسبب ان دنيز وايلينا بنفس العمر، اذ ان دنيز اكبر منها بعدة اشهر، فلقد قررت العائلتان ان تتعلما معاً.

كانت ايلينا تغادر كل اثنين إلى القصر الكبير الذي يبعد ثلاثة اميال فقط عبر الحقول وتبقى هناك حتى نهار الجمعة.

كانت تعود نهار الجمعة للبقاء مع والديها.

كان من وجهة نظر والدتها انه عمل موفق جداً.

ولأن والد دنيز كان غني جداً فلقد كان يؤمن لهما افضل مربيات الاطفال.

كما انه احضر لهما افضل المدرسين لتزويد ابنته بافضل العلوم لكي تصبح ذات ثقافة عالية.

كانت ايلينا تستمتع كثيراً بدروسها ويسعدها جداً البقاء مع دنيز.

لقد كانت صداقة الفتاتين لبعضهما في غاية الروعة.

ربما، كانت دنيز اكثر حساً وجمالاً فلقد كانت ملامحها رائعة وشعرها ذهبي متموج قليلاً.

اما عيناها فكانتا ذات لون اخضر كاخضرار الغابات.

لم يكن يدهش أحد أنها قبل ان تبلغ الثامنة عشر من عمرها ذهبت دنيز إلى لندن لتقدم هناك في البلاط من قبل جدتها.

لقد كانت ناجحة ومميزة تماماً.

في الحقيقة كانت مميزة لدرجة ان ايلينا فقدت كل اتصال بها.

في البداية كانت علاقتهما ممتازة.

لكنها وجدت بعد ذلك انها تكتب ثلاث رسائل إلى صديقتها لتلقى منها رسالة واحدة قصيرة وسريعة كل فترة.

فأحست في داخلها انها ربما تلاحقها بصداقتها، لذلك لم تعد تكتب لها الا في المناسبات.

مؤخراً لم تعد تكتب لها قط.

قالت دنيز:

«عزيزتي، عليك ان تسامحيني لأنني لم احضر لزيارتك منذ زمن، لكنني لم اكن في البيت أو مع جدتي، بل كنت انتقل في بيوت رائعة، وفي حفلات لا توصف وهذا ما اشتاق لاخبرك به.»

قالت ايلينا:

«تبدين رائعة جداً.»

نظرت اليها وهي تتكلم فقد كانت انيقة جداً ترتدي معطفاً للسفر وقبعتها مزدانة بالريش.

لاحظت أيضاً اناقة قفازيها، حذائها وحقيبتها، في الحقيقة كل ما فيها رائع.

سارتا ناحية غرفة الاستقبال وصرخت دنيز متعجبة.

«ما الذي حدث؟ ماذا فعلت؟ اين هي المرايا وتلك اللوحات؟»

قالت ايلينا بهدوء: «لدي الكثير لاخبرك به.»

صمتت دنيز لتسمع أخبار ايلينا: «بعد وفاة والدي وجدنا اننا اصبحنا فقراء جداً.»

تمتمت دنيز بأسى: «لقد تضايقت كثيراً عندما سمعت عن الحادث الذي اصابه، لكني كنت دائماً اعرف انكم تعيشون في بحبوحة كاملة.»

أجابت ايلينا:

«هذا ما كنا نفكر به أيضاً، لكن كان هناك الكثير من الديون، وكل مشاريع أبي لم تقدم أي نتيجة.»

ضربت دنيز يديها ببعضهما وهي تقول:

«آه، عزيزتي، انه لأمر مرعب، كنت أتمنى لو علمت بالأمر. بالطبع كنت ارغب كثيراً بمساعدتك.»

تنهدت ايلينا بأسى وقالت: «لا اعتقد انك تعلمين، بأن امي قد توفيت منذ ثلاثة اسابيع.»

صرخت دنيز صرخة من الرعب وطوقت ايلينا بذراعيها.

«لم يكن لدي أي علم... آه، ايلينا، اني آسفة جداً، اعلم تماماً كم كنت تحبين والدتك، وانا أيضاً كنت احبها كثيراً.»

قالت ايلينا: «كل من كان يعرفها كان يحبها، لكنها لم تكن ترغب بالعيش من دون أبي لذلك حزنت كثيراً وبكت أكثر.»

جلست دنيز على اريكة قديمة وبحاجة إلى تصليح.

قالت: «عليك اخباري بكل شيء، لم يكن لدي أي علم بهذه الأمور، عندما اتيت طلباً لمساعدتك توقعت أن أرى أمك هنا وكل شيء جميل كما كنت اذكره.»

قالت ايلينا بصوت منخفض: «كان علينا بيع كل شيء له قيمة.»

توقفت قليلاً قبل ان تكمل: «سنتكلم عن هذا لاحقاً، اريد سماع اخبارك وعن الحياة السعيدة التي تحيينها، وبالطبع، لما اتيت طلباً لمساعدتي!»

رأت بعيني صديقتها تعبيراً غامضاً فعلمت ان هناك خطباً ما.

بعد لحظات قالت دنيز: «آه، ايلينا لقد كنت مغفلة جداً، لن تصدقي كم كنت غبية.»

جلست ايلينا بجانبها: «هيا اخبريني ما الأمر.»

اجابت دنيز:

«هذا ما اردت قوله عندما اتيت، واني متأكدة انك لن تمانعي بمساعدتي.»

مدت ايلينا يديها وامسكت بيدي صديقتها وقالت: «تكلمي من البداية.»

«حسناً، كما سمعت عني، لقد لقيت نجاحاً باهراً في لندن، كثيراً من النجاح، يا ايلينا، ومن الحماقة ان انكر ذلك.»

سألت ايلينا: «من غير الممكن الا ان تكوني كذلك؟ فانت جميلة جداً ولديك كل الثياب الجميلة التي اخبرتني عنها في رسائلك.»

قالت دنيز:

«جدتي كانت كريمة جداً معي، وبالطبع كان والدي جاهزاً دائماً لتلبية كل طلباتي.»

ابتسمت قبل ان تضيف: «لقد كنت حقاً اجمل الفتيات في كل حفلة اذهب اليها.»

قالت ايلينا باخلاص: «بالطبع كنت كذلك.»

«ليس فقط الجمال هو كل ما يهم في لندن، فهناك الكثير من الجميلات المترفات اللواتي يعجبن امير ويلز وكل الرجال الذين يتنقلون في قصر مارلبوروغ.»

قالت ايلينا: «انني متأكدة ان لا واحدة منهن بجمالك.»

«يعتقدن انهن اجمل بكثير والرجال الذين يسعون وراءهن لا يهتمون اطلاقاً بالمراهقات.»

انتظرت ايلينا لتفهم عما تتحدث صديقتها.

«في الواقع، لقد تقدم لي الكثير من الشبان، وبالنهاية، وقعت في الحب.»

قالت ايلينا: «انه أمر مثير! من هو؟ وهل انت سعيدة لذلك؟»

تنهدت دنيز وقالت:

«انه وسيم جداً كما انه الإيرل أوف وسكوت، ولقد سعد أبي من فكرة زواجي منه.»

قالت ايلينا: «انك على وشك الزواج؟»

اجابت دنيز: «وهنا ساءت الأمور.»

«ما الذي حدث؟»

قالت دنيز: «لا استطيع ان افهم كيف تصرفت بكل هذا الغباء. فلقد كان هنري مغرماً بي بشدة ولقد طلب مني ان اتزوجه.»

كانت ايلينا تصغي بانتباه كامل.

لم تكن تفهم ما تسمع!

تابعت دنيز: «لا ادري كيف فكرت بذلك، ولكنني اعتقدت ان هنري يشعر بأنني ممتنة لطلبه ان اتزوج منه. ومع انه لم يكن هناك من عذر لاتصرف العكس، لكنني اخذت اراوغ واتهرب منه.»

قالت ايلينا: «تعنين انك لم تقبلي الزواج منه!»

«لقد قبلت بطريقة ما... لكن اخبرته ان عليه الانتظار قليلاً لتتوطد صداقتنا اكثر ونتأكد من مشاعر الحب تجاه بعضنا.»

«وهو لم يوافق علي ذلك؟»

«لا، بالطبع لا، لكن يا ايلينا، لقد كنت حمقاء، لقد رغبت ان يزداد بي حباً وان يغار عليّ، فبدأت اثير غيرته، ولا شك انني تماديت قليلاً.»

سألت ايلينا: «عندها ماذا حدث؟»

«ارسل هنري لي رسالة يخبرني بها انه من الواضح انني لا اهتم به، وغادر البلاد.»

كانت هناك رنة واضحة من الحزن في صوت دنيز شعرت بها ايلينا بوضوح.

سألت: «ترك انكلترا؟ ولكن إلى اين رحل؟»

أجابت دنيز: «لقد ذهب إلى روما للبقاء عند جدته، وانني اخاف، اجل اخاف من عدم رؤيته ثانية.»

بدأت ايلينا بالقول:

«لكن بالطبع ان انت كتبت له...»

قالت دنيز: «لا ارغب البتة في ان افعل ذلك، لقد قررت ان

اذهب إلى روما لأراه. فأنا اعلم انه عندما يراني ستسير الأمور على خير ما يرام، لأنني سأخبره انني أحبه اكثر من أي شيء في حياتي، عندها قد نتزوج.»

فكرت ايلينا قبل ان تتكلم: «انني متأكدة انه حل رائع.»

قالت دنيز: «لكن في الأمر مشكلة، ولهذا اتيت لرؤيتك.»

سألت ايلينا: «ماذا علي ان افعل؟»

«حسناً، لقد وافق أبي على ذهابي إلى روما، وحدث ان ابن عمي اللورد تفرتون، والذي لا تعرفينه، ذاهباً إلى روما بمهمة خاصة لمصلحة رئيس الوزراء. استطيع ان اسافر معه، لكن بالطبع يجب ان يكون معي وصيفة.»

وافقتها ايلينا: «بالطبع.» فهي تفهم تماماً انه من المستحيل على فتاة شابة ان تسافر عبر الحدود بمفردها.

قالت دنيز: «لهذا اتيت اليك، لأنني حاولت جاهدة ان اتذكر اسم المربية التي تعلمنا عندها عندما كانت الآنسة سميثسون مريضة. لقد كانت متزوجة ودائماً سعيدة.»

اعادت ايلينا كلامها: «مربية؟ لكن بالطبع...؟»

قالت دنيز: «اعلم بما تفكرين، تماماً كما يفكر أبي، انه علي ان اصطحب احدى قريباتي معي، عمتي أو احد اقارب أبي.»

حركت يديها بطريقة معبرة وتابعت: «هل تتخيلين كيف ستتصرفن؟ بلا شك انهن سيقلن: انتم الآن جيل الشباب

تريدون البقاء بمفردكم. وهذا سيشعرني بالاحراج، أو سيلعبون دور الوصية الصارمة ولن يسمحوا لي ابداً بلقاء هنري ولو للحظة.»

ضحكت ايلينا.

فهي تعرف اقارب دنيز وتعلم تماماً انهن يتصرفن على هذا النحو.

قالت دنيز: «لقد كتبت قائمة باسمائهن، وكل واحدة تبدو اسوأ من الأخرى، علي ان اكون حذرة جداً بالتعامل مع هنري، خاصة وانني ازعجته كفاية.»

تنهدت وكأنها ستبكي قبل ان تتابع: «كانت رسالته صدمة لي، اعلم انه استاء جداً من تصرفاتي، وعليّ بطريقة ما ان اجعله يسامحني.»

تنهدت ثانية، بعدها اضافت وعيناها تبرقان بلمعان جديد:

«لكنني لن ارجوه طلباً لرضاه، فهذا سيزيده غروراً، وهو ديكتاتوري بما فيه الكفاية.»

ضحكت ايلينا ثانية وقالت لها: «لقد فهمت مشكلتك تماماً، لكن السيدة ويلسون التي تسألينني عنها، تعمل لدى سفير فرنسا وهي تعلم أولاده اللغة الانكليزية، وهي الآن معهم في فرنسا.»

قالت دنيز: «آه، يا لمصيبتي! لقد كانت الانسانة الوحيدة التي رأيتها مناسبة لهذا العمل وسترضي والدي بأنها الوصيفة المناسبة تماماً لي.»

قالت ايلينا بتمني: «انني متأكدة انك ستفكرين بشخص مناسب غيرها.»

بدأت دنيز بالقول: «انني بكل بساطة لا استطيع التفكير...»

عندها صرخت فجأة.

كانت صرخة عالية جعلت ايلينا تتجمد وتنظر إلى صديقتها بتعجب.

قالت دنيز:

«لكن بالطبع... لقد وجدت حلاً لمشكلتي، انه أمر سهل للغاية، ستأتين انت معي!»

سألت ايلينا: «انا؟ لكن يا عزيزتي انا لست امرأة متزوجة وفتاتان معاً لا تستطيع الواحدة منهن ان تحافظ على الأخرى.»

قالت دنيز بحدة: «بالطبع افهم ذلك، ولكن الذي افكر فيه هو أمر في غاية الذكاء، انك تستطيعين الذهاب معي على انك والدتك.»

«ماذا... أمي؟»

قالت دنيز وكأنها تعتبر ان ما تقوله منطقي جداً: «انت تعلمين كم كانت والدتك تبدو جميلة وشابة، وبالنهاية، كلنا نعلم قصة زواجها عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها وبالطبع هي لم تكمل السابعة والثلاثين عندما ماتت.»

قالت ايلينا: «هذا حقيقة... لكن...»

قاطعتها دنيز: «ليس هناك لكن، ساخبر والدي، الذي سيغادر بعد ظهر اليوم لمدة اسبوع إلى دونكستر، ان السيدة لانغلي سترافقني كوصيفة إلى روما. في الحقيقة قال لي عندما غادرت البيت: «بلغي سلامي للسيدة لانغلي،

فهي بلا شك سيدة رائعة واني آسف اننا لم نرها منذ فترة طويلة. من الواضح انه لم يسمع بنبأ موتها.»

حدقت ايلينا بصديقتها وكأنها لا تصدق ما تسمعه.

عندما توقفت دنيز عن الحديث قالت ايلينا: «انها لفكرة رائعة يا عزيزتي، وانت تعلمين انني اتمنى من كل قلبي الذهاب معك إلى روما، لكن لا احد لديه قليل من الحس سيصدق انني أمي... حتى ولو انني ارتديت ثيابها.»

عارضتها دنيز بعناد قوي: «لِمَ لا؟ الناس اعتادت ان تقول انك وأمك تبدوان كشقيقتين، فان صففت شعرك بتسريحات مميزة ووضعت الاصبغ والالوان على وجهك مثلما تفعل جميلات لندن. انني متأكدة من انك ستبدين اكبر بكثير.»

لم تجب ايلينا فتابعت دنيز بعد لحظات: «تذكرين كم كان الجميع يجاملك ويمدحك عندما كنا نقوم بمسرحيات امام ضيوف والدي. ولقد كنت اغار منك لأنهم جميعاً كانوا يقولون انك ممثلة افضل مني بكثير.»

وضعت اصابعها على جبهتها وكأنها تفكر ثم اضافت:

«هل تذكرين المسرحية الأخيرة التي قمنا بها قبل سفري إلى لندن؟ لقد لعبت دورين فيها، احدهما انك امرأة غنية وادارية ويبدو عمرك في الاربعين تقريباً.»

قالت ايلينا: «التمثيل على المسرح أمر مختلف. ولكن ان فعلت ذلك في الظلام انني متأكدة أن لا احد سيعرفني.»

حركت دنيز يديها بقلق وسألت: «من سيكون هناك ليعرفك؟ ابي سيسافر إلى دونكستر، وأين عمي، اللورد تفرتون، لم يقابلك يوماً، كذلك خادماتي ولا السائس الذي سيرافقنا.»

وحين لم تجب ايلينا تابعت دنيز قائلة: «كل ما اريده منك عندما نصل إلى روما أن تدعيني بمفردي مع هنري، وانني متأكدة انك ستتسلين كثيراً بمشاهدة مدرج روما القديم، وكل الأماكن الأخرى التي كنا ان ندرسها مع الآنسة سميتسون.»

لمعت عينا ايلينا بفرح.

فكرت كم كانت تتمنى ان ترى تلك الاماكن التي كانت تقرأ عنها.

كانت دائماً تفكر بروما عندما تكون وحيدة في الليل.

كما كانت تتخيل وكأنها تراهم بعينيها بدلاً من أن تتذكر صورهم من كتاب.

لكن ما ستقوم به أمر خطير ولا يجوز أن تقدم عليه فقالت لنفسها ان عليها ان تكون حازمة بهذه الأمور. فقالت:

«عزيزتي دنيز، تعلمين انني افعل أي شيء لمصلحتك... أي شيء مهما كان... ماعدا ان يكون عملاً خاطئاً ويسبب لك المشاكل بطريقة ما.»

قالت دنيز:

«الذي ستفعلينه لي سهل جداً، ستأتين معي إلى روما كوصيفة، وسنعمل معاً لجعل هنري وسكوت يسامحني وبعد ذلك نخطب رسمياً.»

رأت ايلينا ان الأمور سهلة جداً لتصبح حقيقة.

قالت بصوت خافت: «هل انت متأكدة انني... لن اعرقل لك الأمور؟»

تساءلت دنيز: «لما ستفعلين ذلك؟ فنحن لن نرى احداً يعرف امك وعليك ان تعترفي انها كانت تبدو شابة جداً.»

وافقتها ايلينا: «نعم... كل من يعرفها كان يقول هذا...»

«اذن كل ما علينا فعله هو جعلك تبدين اكبر مما انت الآن، ولكن، اذا لم تجيدي تمثيل دور الليدي والتي هي وصيفة مناسبة لي، ماذا ستفعلين؟»

ضحكت ايلينا وقالت: «أنت الآن تسخرين! في ذات الوقت، عزيزتي، انت تعلمين انني ارغب كثيراً بمساعدتك، لكن لأكون صادقة، احب كثيراً الذهاب إلى روما، وانني متشوقة لأقول نعم.»

صاحت دنيز: «هذا رائع، سنغادر بعد ثلاثة ايام.»

رددت ايلينا: «ثلاثة... ايام.»

«هناك الكثير من الوقت لكي تقرري ماذا ستختارين من ثياب أمك لترتديها وأنا سأحضر لك كل ما ينقصك.»

وضعت يدها على يد ايلينا وهي تقول: «انني اشعر بالخجل من نفسي لأنني لم ادرك من قبل كم انت بحاجة لمساعدتي، لدي جبال من الثياب، حقيقة جبال والتي كنت استطيع ان ارسلها لك، لكنني كنت انانية جداً ولم اكن افكر الا في نفسي.»

قالت ايلينا:

«ليس عليك لوم نفسك، وماذا سافعل بجبل من الثياب في تل بتباري؟»

اجابت دنيز:

«باستطاعتك ارتداءها هنا، فالثوب الذي ترتديه الآن كارثة.»

قالت ايلينا معترفة: «انني ارتديه منذ سنوات، وهو يكاد يتمزق.»

«أرميه بعيداً... ارمي كل ما عندك بعيداً، وانني متأكدة من ان هناك فرو ومجوهرات لأمي اعتقد ان عليك ارتدائها هناك.»

نظرت ايلينا اليها مستفهمة فقالت دنيز: «الآن، علينا القيام بالترتيبات الضرورية، لن تذهبي إلى روما كامرأة ريفية ولديها عمل تتقاضى أجره من أبي لأنها وصيفتي.»

اظهرت ايلينا صيحة من الاعجاب فتابعت دنيز:

«بالطبع سادفع لك مال، فلدي المال الكافي، لكن عليك ان تظهري غنية وسيدة أنيقة، والا لن تتركي انطباعاً عند احد.»

سالتها ايلينا: «لما تريدين أن تتأثر بي الناس؟»

اجابت دنيز: «أولاً اريد هنري ان يدهش بك، فلا رغبة لي ان يعتقد انني اسعى وراءه. علي الذهاب إلى روما لأسباب مختلفة، وذلك قد يكون انني ذاهبة برفقة السيدة لانغلي التي هي صديقة لعائلتي، لأنها ترملت منذ فترة وهي تشعر بالحزن والوحدة.»

اعترضت ايلينا: «انت تجعلين من الأمر مأساة.»

قالت دنيز: «هذا ما أرغب بفعله، وسيكون دورك تماماً كما كنت تعامليني في الماضي، والآن أتى دوري.»

ضحكت ايلينا وقالت:

«آه، دنيز، انك عنيدة جداً، لكنني متأكدة من انك تقومين بعمل خاطىء... هناك الكثير من الاشخاص المناسبين اكثر مني لمرافقتك إلى روما. فربما ارتكبت خطأ ما وجعلت كل عملك يذهب سدى.»

«لم اعرفك قط تفشلين بأي عمل تقومين به، فانت اذكى مني بكثير، فكل المربيات وحتى المعلمين اعتادوا على القول. هيا الآن يا آنسة دنيز، حاولي ان تكوني ذكية مثل نسيبتك، سيما انها اصغر منك.»

كانت دنيز تتكلم بلهجة المعلم. فضمتها ايلينا وهي تقول:

«آه يا دنيز، انك صديقتي المفضلة، وأنا سعيدة من لقائي بك ثانية، لقد اشتقت اليك كثيراً وإلى كل الاشياء التي كنا نقوم بها معاً.

«هذا ما سنفعله في كل الطريق إلى روما، والا سأجلس هنا قربك وانتحب. عليك ان تجعليني اضحك كثيراً وابدو متألقة، حتى عندما يراني هنري سيدرك كم هو مخطىء كيف تخلى عني وغادر.»

قالت ايلينا: «لا ادري كيف استطاع ان يفعل ذلك وانت بكل هذا الجمال.»

قالت دنيز بصوت منخفض: «لقد كانت غلطتي، واذا خسرته، يا ايلينا، سيتحطم قلبي، فلن اتمكن من ان احب غيره بتاتاً.»

كانت تتكلم بأسى، ثم امسكت بيد قريبتها وقالت بتوسل: ساعديني... ارجوك... ساعديني. اعلم ان سعادتي كلها

على المحك اذا خسرت هنري، لن تعود الأمور على حالها مطلقاً.»

كان صوتها حزيناً بشكل شعرت معه ايلينا انها ستفعل أي شيء مهما كان صعباً اذا كان ذلك سيساعد دنيز.

قالت: «حسناً ساذهب معك، لكن عليك اخباري بوضوح كيف سأتصرف. فأنا لم اذهب قط إلى لندن ولم ار يوماً تلك السيدات المترفات الجميلات التي يجب ان ابدو واحدة منهن.»

اجابت دنيز: «انهن متشابهات، فهنّ يتصرفن بأنانية وغرور ويعتقدن ان كل رجل ينظرن اليه ويبتسمن له عليه ان يكون محظوظ جداً ويفرح كأنه نال مليون باوند.»

ضحكت ايلينا بصوت عال: «هل تتصورين انني استطيع التصرف هكذا؟»

«بالطبع، هذا ما ستفعلينه، فانت جميلة جداً مهمة جداً، وغنية جداً.»

قالت ايلينا: «عليّ ان اكون ممثلة حاذقة جداً لاجعلهم يصدقون ذلك.»

قالت دنيز بعد قليل: «لما لم تعلميني بوضعك؟ لا استطيع تحمل التفكير انك بعت كل هذه التحف الجميلة في هذه الغرفة.»

«كنت اتساءل قبل ان تصلي بقليل من الوقت ماذا ممكن ان أبيع بعد، أو ماذا استطيع ان اعمل كي اقبض بعض المال.»

أجابت دنيز:

«لقد وجدت عملاً، ستعملين عندي وأنا سأدفع لك كل ما تحتاجينه. انني أحبك كثيراً، يا ايلينا، وسيكون لنا وقت رائع نمضيه معاً. وعندما اتزوج هنري سأجد لك زوجاً غنياً مثله تماماً.»

قالت ايلينا:

«ساكون ممتنة الآن من اجل رؤية مدرج روما الشهير والمعابد القديمة.»

اجابت دنيز: «مما سمعت به اعتقد ان روما مليئة بالكنوز الرائعة من كل الانواع، فإن كنت ترغبين القيام بدور المتفرجة عليك القيام بذلك من الصباح حتى المساء.»

«هذا ما انوي عمله، وبالتأكيد لن اتدخل بينك وبين هنري.»

توقفتا قليلاً عن الكلام قبل ان تقول دنيز وكأنها تبكي: «آه... ايلينا... هل تعتقدين انه نسيني تماماً؟ ربما وجد فتاة ايطالية... اكثر جمالاً مني؟»

اجابت ايلينا: «لا اعتقد ان هذا أمر ممكن، وان كان صحيحاً فهذا يعني انه لا يحبك. انت تذكرين ماذا كنا نقول في الماضي، كي نجد الحب الحقيقي علينا ان نجد نصفنا الآخر.»

وافقتها دنيز: «اجل بالطبع، وهكذا هو هنري بالنسبة لي... اعلم هذا!»

سألتها ايلينا:

«وكيف استطعت معاملته بقسوة؟ لا شك انه كان حزيناً جداً ليغادر ويتركك على هذا النحو.»

توسلت دنيز: «ارجوك، لا تتحدثي عن الأمر، لقد كنت غبية، اعلم انني كنت غبية، كنت فقط اريد ان اجعله يغار قليلاً حتى يزداد حبه لي... لكن... لا شك... انني تماديت بذلك.»

وضعت ايلينا يدها على كتف صديقتها وقالت: «لا تقلقي، يا عزيزتي، انني متأكدة انه سيعود إليك، وانني آمل كثيراً ان يكون حزيناً على غيابك كحزنك على غيابه.»

قالت دنيز: «اتذكر آمالك وأحلامك، وأنت تقولين دائماً انها تتحقق.»

«هذا ما كنت افكر به، فقد كنت ارجو من اجل حل مشاكلي حتى انني طلبت عون العصافير.»

اجابت دنيز:

«وها أنا هنا، جاهزة لمساعدتك. الآن، دعينا نضع خطة واضحة لنسير عليها.»

بسبب انها راغبة جداً بأخذ ايلينا معها إلى روما، كانت دنيز تعمل بكل ذكاء وحذاقة.

أولاً بما ان والدها سيغادر اليوم فعلمت انه من الصعب عليها ان تصطحب معها ايلينا إلى قصر سدجويك، أي بيتها.

كما فكرت انه قد تتعرف عليها احدى الخدم وذلك أمر خطير للغاية.

قررت دنيز: «سأغادر أنا واياك صباح الاربعاء، سنذهب بالقطار معاً، وعندما نصل إلى لندن، سينتظرنا اللورد تفرتون في بيته في بالغريف سكوير.»

قالت ايلينا: «لا فكرة لدي كيف يبدو هذا اللورد، ربما شك بأمرنا؟»

قالت دنيز:

«لا تهتمي لأمره، انه غاضب جداً لذهابي معه إلى روما، لذلك اشك انه سيتكلم معنا.»

نظرت ايلينا بتعجب وسألت: «لماذا؟»

«لأنه مغرور ولا يهتم الا بنفسه، فهو ناجح جداً في لندن كما انه صديق مقرب لأمير ويلز.»

اخفضت صوتها وكأنها خائفة مما ستقوله.

«كما ان لديه الكثير من الصديقات ولقد سمعت انه عندما يتركهن يفقدن نضارتهن من كثرة البكاء عليه.»

لم تفهم ايلينا: «يتركهن؟»

قالت دنيز: «تفهمين ما اعني.»

رأت ان قريبتها تبدو مرتبكة فشرحت لها: «إنه وسيم جداً وغني أيضاً، فالنساء تركضن اليه وكأنه تفاحة ذهبية في أعلى شجرة.»

ضحكت ايلينا: «لا اصدق ما تقولين!»

قالت دنيز: «انها الحقيقة، فهو يحيط نفسه بجو من الغرور ويتصرف وكأن كل الناس تحت سيطرته.»

«يبدو مخيفاً.»

اجابت دنيز: «لطالما كرهته منذ سنوات، انه دائماً يتكلم معي وكأنني طفلة معاقة.»

«لا اصدق ما تقولين!»

«اقول لك الحقيقة، وهو لا يأتي لزيارتنا، الا انه يحب ركوب الخيل عند والدي، كما انهما يتقابلان

في نادي الخيول.» ضحكت قليلاً قبل ان تضيف: «لقد رأيت وجهه عندما سأله والدي ان يصطحبني معه إلى روما.»

قالت ايلينا: «لم تعجبه الفكرة؟»

«لقد اصيب بالذعر، لقد رأيته يلفق مئات الاعذار للرفض، اخيراً، بكل اسف، قبل تحمل هذه المسؤولية بذهابي معه لكن بشرط ان ترافقني وصيفة تهتم بي.»

فكرت ايلينا انه أمر غير معقول ان يكون هناك شخص يستطيع ان يكون قاسياً مع انسانة جميلة ولطيفة مثل دنيز.

تذكرت مرة ان والدها قال ان الرجال في لندن يرون الفتيات المراهقات مملات.

لذلك كلما اسرعن في الزواج كان افضل لهن.

سألتها: «لما لم يتزوج ابن عمك؟ كم عمره؟»

«في الثلاثين، وهو لا يستطيع الزواج من النساء اللواتي يعرفهن لأنهن متزوجات.»

ضاقت عينا ايلينا: «بالطبع رجالهن يعترضون على هذه التصرفات؟»

«ستذهلين لو ترين كم تتصرف النساء بغرابة في لندن، فاكثر صديقات الأمير ويلز هن نساء متزوجات جميلات ومترفات جداً. وابن عمي يتصرف مثله تماماً.»

قالت ايلينا بثبات: «حسناً اعتقد ان الأمر مرعب. لا استطيع تصور ان أبي يتصرف على هذا النحو، لأن ذلك كان سيحطم قلب أمي.»

قالت دنيز: «كان ابوك وامك مختلفان عن كل الناس. لم

افكر قط انها ستموت صغيرة هكذا. لطالما كانت جميلة وشابة.»

قالت ايلينا بنعومة: «كانت كذلك حتى موت أبي. عندها انطفأ نور حياتها. فلم تعد تستطيع العيش في الظلام لوحدها.»

كان هناك حزن في صوتها.

كان يصعب عليها التحدث عن أمها بدون ان تتساقط دموعها.

قالت دنيز:

«مسكينة أنت يا ايلينا، اعلم كم تفتقدينها، لا شك افضل أمر لك هو ان تذهبي إلى روما. واني متأكدة ان هذا ما سترغبه لك والدتك.»

ترددت ايلينا: «ربما ستصدم أمي من فكرة الكذب وقيامي بدور مخادع.»

قالت دنيز:

«اذا سألتني اعتقد انها سترى الأمر مزحة كبرى، فانت تعلمين كم كانت تضحك على المداعبات التي كنا نقوم بها والتي لم تكن ترضي احداً من كل من حولنا.»

رأت ان ملامح الفرح علت على وجه ايلينا فتابعت:

«هل تتذكرين الحواجز العالية التي قفزنا عليها؟ كيف ان امك الوحيدة التي قالت انه أمر جيد للمرأة ان تدخل في هذا النوع من الرياضة وان لا تخاف من الحواجز.»

أومأت ايلينا بالموافقة.

تابعت دنيز:

«هذا ما سنفعله ثانية الآن، سنأخذ قفزة عالية وستنسى

كل مشاكلنا الأخرى. سنرين روما وكل الاماكن الجميلة فيها.»

قالت ايلينا بفرح: «هل تعتقدين ذلك حقاً، يا دنيز، انني سأتمكن من القيام بذلك، احب ان انجح، وستكون مغامرة رائعة!»

وافقتها دنيز: «بالطبع ستكون، انا سأؤمن النهاية السعيدة بزواجي من هنري والتأكد من انه لن يتركني ثانية.»

قالت ايلينا: «آه، يا عزيزتي، اريد فعلاً ان تكوني سعيدة.»

الفصل الثاني

عادت دنيز في اليوم التالي بعد الظهر.

راقبت ايلينا بتعجب عندما ادخل السائس وخادم آخر عدداً كبيراً من الحقائب.

وضعت الحقائب في غرفة ايلينا وما ان تم ذلك حتى بدأت دنيز بفتحها.

قالت: «لقد أحضرت لك أمتعة أمي. وكلها محفور عليها أحرف اسمها وانني متأكدة ان هناك الكثير، أكثر مما تتخيلين.»

تنبهت ايلينا ورأت ان الحرفين أ.ل مطبوعان ايضاً على الحقائب.

وقبل ان تسأل أي سؤال قالت دنيز: «لا شك انك تتذكرين ان اسم أمي كان أليس.»

قالت ايلينا: «بالطبع اذكر، ولو اني نسيت ذلك.»

قالت دنيز بمرح:

«لقد تذكرت الامتعة وأنا عائدة إلى البيت، فما أن اخبرت والدي ان السيدة لانغلي ستصحبني كوصيفة، حتى فرح كثيراً لذلك. عندها صعدت إلى الطابق العلوي ومنه مباشرة إلى العلية. حيث اغراض أمي كانت هناك، وانظري ماذا وجدت.»

أخذت بفتح الحقائب واحدة تلو الأخرى.

أولاً رفعت عباءة للسهرة من المخمل الأسود مزينة بالفرو.

صدر من ايلينا زغردة من الفرح.

عندها قدمت دنيز لها عباءة أخرى من المخمل الأزرق مزينة بالفرو السموري.

قالت ايلينا: «انها رائعة.»

قالت دنيز: «انتظري.»

بعدها اخرجت من الحقيبة فرو مزين بكثير من الشرائط.

كانت ايلينا تعلم ان كل السيدات اللواتي يرتدين آخر موديل للازياء يتمنين الحصول على فراء كهذا.

كما كان هناك الكثير من الوشاحات التي كانت بمنتهى الأناقة.

بعدها فتحت دنيز علبة قبعات كبيرة.

وقالت: «اعتقد ان معظم ثياب أمي التي لم احضرها اصبحت بعيدة عن موضة اليوم ولا مجال لارتدائها، لكن القبعات لم تتغير كثيراً منذ موتها. في الحقيقة انها اليوم عملية اكثر.»

أخذت تضع امام صديقتها عدداً من القبعات مزدانة بالريش والشرائط الحريرية.

علمت ايلينا انها اذا اعتمرت هذه القبعات ستبدو أكبر سناً.

كما انها تستطيع اضافة بعض الزينة من واحدة إلى أخرى حتى تبدو أكثر جمال وفخامة.

قالت دنيز:

«تعلمين كم تهتم الناس الآن لتبدو أكثر أناقة. لذلك أنا متأكدة ان اضفنا بعض الدانتيل والساتان إلى ثياب السهرة ستبدو أكثر أناقة. كما أن موضة ثياب النساء المتقدمات في السن ما زالت كما هي.»

قالت دنيز: «اني متأكدة أننا نستطيع الحصول على خياطة في روما تستطيع تحسين هذه الفساتين عليك لتناسبك. وفي الوقت الحاضر، لقد احضرت لك كل ثيابي التي لا تبدو بوضوح انها للمراهقات.»

كان هناك الكثير منهم وضعتهم دنيز أمامها وقالت:

«طالما رأيت ان معظمهم غير مناسب لأن الوانها قاتمة.» وحملت فستاناً آخر بيدها وهي تتابع: «وهذا قد اشتريته أيضاً، ولكن النور خفيفاً، اعتقد انه يناسبك اما علي فهو كارثة.»

في الحقيقة الثياب القاتمة كانت تضفي على بياض بشرة ايلينا وشعرها القاتم جمالاً لا يوصف.

أخيراً جلبت دنيز صندوقاً صغيراً من آخر حقيبة وهي تشعر بالنصر.

قالت: «انظري ماذا وجدت في العلبة.»

فتحت العلبة ورأت ايلينا أنه يوجد في داخلها مساحيق الوجه، واقلام جميلة للشفاه.

سألت: «من أين حصلت أمك على هذه العلبة؟»

أجابت دنيز: «لقد أقلقني هذا الأمر مثلك، حتى تذكرت ان احدى بنات عمي والتي كانت جميلة ومتأنقة جداً. وقد حضرت للبقاء لفترة عندنا. لم

اكن كبيرة في ذلك الوقت، لكنني ما زلت اتذكر كيف كانت تضحك على أمي وتقول لها انها من الطراز القديم. وبعدما غادرت، وصلت علبة صغيرة كهدية لأمي.»

سمعت أمي تسأل أبي: «ماذا تعتقد جين ارسلت لي؟»

أجابها: «لا فكرة لدي.»

تابعت دنيز: «فتحت أمي العلبة وعرضتها على والدي.»

سألت ايلينا: «وماذا قال والدك؟»

«اتذكر كيف ثار غاضباً وقال لها، لن اسمح لزوجتي أن تبدو كالممثلة!»

ضحكت أمي منه وقالت له:

«اذا ذهبنا إلى لندن، ستشعر بالخجل مني لأنني سأبدو ريفية جداً.»

أجابها أبي: «وهكذا احب ان اراك.»

أنهت دنيز بالقول: «ولهذا لم تستعملها قط، لكن الآن ستجدينها مفيدة للغاية.»

اعترضت ايلينا: «لكن... أنا ايضاً لا رغبة لي لأبدو كممثلة!»

قالت دنيز: «لقد ارسلت جين هذه الهدية لأمي منذ أكثر من عشر سنوات. ومنذ ذلك الحين، أمور كثيرة تغيرت، فكل جميلات لندن يضعن المساحيق على وجوههن ويخططن شفاههن بأحمر الشفاه.»

ضحكت ايلينا: «لا أرغب في ان ألفت نظر أحد، ولكن اذا اردت أن أبدو كذلك، اعتقد بأني سأوافق على الظهور كذلك فقط من اجلك.»

قالت دنيز مصرة: «بالطبع عليك ذلك.»

لم تمكث طويلاً، بل غادرت مسرعة، تاركة لايلينا مهمة ترتيب الثياب في الحقائب.

اضافت ايلينا بعض ثياب أمها. فلقد كانت والدتها انيقة جداً. مع انها، لم تكن تبالغ في المصروف على ثيابها.

كانت تلك الفساتين اجمل بكثير من ثياب ايلينا، لذلك قررت ترك ثيابها معلقة في الخزانة.

وجدت ثوباً جميلاً جداً لأمها لونه ازرق داكن ومصنوع من الساتان قررت ارتداءه في الرحلة إلى روما.

وكان يناسبها تماماً ان دنيز اعطتها عباءة تلائمه لأنها من نفس اللون.

كانت مزدانة بفرو ناعم جداً لا يجعلها متكلفة في ارتدائها في القطار.

كما كان هناك قبعة وجدتها ايلينا جميلة ولائقة جداً.

أضافت بعض الريش إليها لتزداد جمالاً.

كان بين الوشاحات حقيبية يد واحدة.

قالت دنيز وهي تأخذها من الصندوق: «أخشى ان أقول لك انه لا يوجد غيرها: فلقد وزع والدي كل حقائب اليد الخاصة بأمي على الاقارب عندما توفيت. فلقد طالب الجميع بهم لأن حقائبها كانت غالية وجميلة جداً، اذ كانت تشتريهم من بوند ستريت.»

قالت ايلينا: «يسعدني جداً الحصول عليها. فانا اخشى ان رأى أحد حقيبية يدي التي استعملها. فانهم لن يصدقوا للحظة ان هناك اي مال بداخلها.»

قالت دنيز: «اذن، ارميها بعيداً، فمن خلال النظر إلى هذه الأمور تحكم عليك الناس ان كنت غنية ام لا.»

كما كان هناك الكثير من القفازات الجلدية والحريرية وجوارب نايلون لم تتوقع ايلينا قط ان تمتلك منهم.

كما جلبت ثياباً للنوم من الحرير والساتان المطرز بالدانتيل.

عندها نظرت إلى كل ما كانت تصبو اليه.

ما ان انتهت من توضيب اغراضها حتى قاربت الساعة منتصف الليل.

ذهبت إلى سريرها ونامت بأمان.

قدمت السيدة بانكز صباحاً لتجهيز الفطور وترتيب البيت.

نظرت بدهشة إلى الكمية الكبيرة من الامتعة. وسألتها: «هل ستغادرين، يا آنستي؟»

قالت ايلينا: «انني ذاهبة للبقاء لفترة مع بعض الاصدقاء، لكن اتمنى عليك، يا سيدة بانكز، ان تستمري بالقدوم والاهتمام بالبيت كالعادة وأنا سأؤمن لك المال اسبوعياً مع الوكيل في القرية.»

البارحة، بينما كانت دنيز تنزل الدرج كي تغادر. قالت لها ايلينا بلهجة محرجة وكأنها تعتذر: «يؤسفني ان اطلب منك، يا دنيز، لكن هل تستطيعين اعطائي بعض المال من أجل المرأة التي تهتم بالبيت؟ والا سيصبح في حالة لا تحتمل.»

وقفت دنيز على الدرجة الأخيرة وصرخت بيأس وهي تعتذر:

«كم أنا مغفلة لأنسى ذلك، بالطبع احضرت لك بعض المال وتذكري دائماً، هناك الكثير من المال عندما تحتاجين.»

تمتمت ايلينا: «اخجل ان اطلب المزيد بعد كل ما قدمته لي.»

قالت دنيز بصدق:

«لم احضر لك شيئاً دفعت ثمنه. وهذا المغلف كنت قد احضرته اصلاً لك.»

سحبت المغلف من حقيبة يدها ووضعته في يد ايلينا.

بعدها أسرعت إلى العربة التي كانت تنتظرها خارجاً وانطلقت مسرعة.

عندما فتحت المغلف وجدت ايلينا ان في داخله خمس وعشرين باوند.

للحظة فكرت انه لا يجب عليها قبول هذا المبلغ من المال من قريبتها.

عندما تلقاها غداً ستعيد لها قسماً منه. ولكن، هناك الكثير من الديون التي تثقل كاهلها في القرية.

ما ان انهت ارتداء ثيابها حتى ذهبت إلى الوكيل واعطته عشرة باوند.

قالت: «لا ادري كم ساغيب، لكن ارجوك ادفع للسيدة بانكز اسبوعياً كما ان السطح من الجهة الغربية يتهدم، فهل تسأل السيد باركز ان يرممه؟»

قال الوكيل:

«بالطبع سأفعل. ولقد أسعدني جداً أنك ستذهبين في رحلة. فلقد كنت قلقاً عليك جداً.»

«سأكون بصحبة قريبتي دنيز سدجويك. وأعتقد أنك تذكرها. فأنا كنت أتعلم معها منذ سنوات.»

قال الوكيل:

«إنه أفضل عمل تقومين به الآن. ولا تقلقي على بيتك ولا على أي شيء آخر. فأنا سأهتم بذلك.»

تردد قبل أن يتابع: «لقد كنت شجاعة جداً. وأنا أعلم كم كانت الأحداث قاسية عليك. لكن كنت دائماً أتمنى السعادة في بقية حياتك.»

قالت ايلينا: «أعلم ذلك. لكن أرجوك. انتبه إلى المنزل وإلى ما يحتاجه.»

ابتسم الوكيل: «بالطبع سأفعل.»

بعد ذلك. أمضيت ساعتين في التنقل بين كل من الخباز واللحام وصاحب المتجر في القرية لتدفع لهم ما تدين إليهم.

كما كان هناك فاتورة للعامل الذي أبدل لهم ألواح الزجاج المكسور في عدة نوافذ في بيتها.

عندما عادت إلى بيتها لم يبق معها من المبلغ سوى ثلاث باوندات.

قالت لنفسها: علي أن أقتصد في المصروف. لا أستطيع الاستمرار في ازعاج دنيز من أجل الحصول على المال. بعد كل ما فعلته من أجلي.

وصلت العربة في صباح اليوم التالي بعد الساعة الثامنة صباحاً.

عندما وضعت قبعتها المزينة على رأسها. نظرت إلى نفسها بتعجب.

فلقد كانت جذابة جداً.

رتبت شعرها على أحدث تصفيفات الشعر التي قرأت عنها في مجلة نسائية كانت قد أخذتها من زوجة الوكيل.

فكرت أنها تبدو الآن تماماً كما تريدها دنيز.

ومما لا شك فيه. أن من يراها للمرة الأولى سيعتقد أنها أكبر بكثير من عمرها الحقيقي.

ما أن خرجت دنيز من العربة ودخلت إلى البيت حتى انتظرت ايلينا ردة الفعل على منظرها الجديد.

نظرت دنيز إلى نسيبتها وصرخت من الفرح.

قالت: «إنك رائعة. تبدين مذهلة تماماً. وكما يجب أن تبدو الوصيفة بالتحديد.»

لم تستعمل ايلينا مستحضرات التجميل لأنها خافت أن تبالغ في ذلك.

لكن ما أن أصبحتا على الطريق التي تقودهما إلى المحطة. أصرت دنيز على أن تضع قليلاً من أحمر الشفاه.

قالت: «الآن. تبدين تماماً كما أرغب أن تكوني في الوقت الحاضر.»

حدقت ايلينا بنفسها في مرآة صغيرة كانت تضعها في حقيبة يدها وسألت بعصبية: «ألا تعتقدين أنني أكثرت من استعمال أحمر الشفاه؟»

قالت دنيز بثبات:

«بل قليل جداً، وقبل أن تصل إلى لندن سأضع بعض اللون على وجنتيك.»

قالت هذا عندما أصبحتا بمفردهما في مقصورتهما الخاصة.

عندما أنهت دنيز إضافة بعض اللون على وجه ايلينا قالت: «ماذا عن مجوهرات أمي؟»

قالت ايلينا بسرعة: «لقد وضعت هذين القرطين، لكن، أعتقد أن هذا يكفي.»

قالت دنيز باستهزاء: «لا يكفي اطلاقاً.»

وضعت ايلينا المجوهرات في صندوق صغير مصنوع من جلد تمساح كانت دنيز قد أحضرته وطلبت منها أن تحمله كما تحمل حقيبة يدها تماماً.

نظرت دنيز إلى محتوى الصندوق واخرجت منه عقدين من اللؤلؤ ووضعتهما حول عنق ايلينا.

كما كان هناك خاتم ماسي وضعته في إحدى اصابع يدها مع خاتم الزفاف.

وكان كل هذا لا يكفي فأضافت إليهم سوار من اللؤلؤ والزمرد وبروش على شكل فراشة.

سألت إيلينا:

«هل هناك أمان من ارتدائهم على الطريق؟»

أجابت دنيز:

«لدينا كثير من الخدم ليهتموا بنا. هذا بالاضافة طبعاً إلى الماركيز اوف تفرتون المخيف.»

في خضم الاهتمام بالتحضير إلى الرحلة نسيت ايلينا تماماً وجوده. فسألتها: «هل سيبقى معنا؟»

اجابت دنيز: «أخشى ذلك، لكنه بلا شك سيسافر في عربة خاصة به إلى دوفر، وسيبقى في مقصورته الخاصة في المركب.»

نظرت ايلينا إليها بدهشة.

فتابعت دنيز: «لكن لا تنسي، هو لا يرغب بوجودنا معه، ومع اننا سنبقى في البيت الذي يقيم فيه، فإنني متأكدة تماماً اننا لن نراه إلا عندما يمر أمامنا على الدرج أو في الممرات.»

شعرت دنيز بالحيرة التي ظهرت على وجه صديقتها فتابعت:

«لقد أخبرتك أن أبي تحايل عليه كي يأخذني معه إلى روما، ولقد وقع في الفخ الذي نصبه له والدي من غير أن يدرك.»

سألت ايلينا: «أي فخ؟»

أجابت: «قال أبي بطريقة عرضية أعتقد أنك ستقيم في السفارة البريطانية.»

أجاب ابن عمي ماركوس: «آه، لا، لقد استأجرت منزلاً جميلاً لصديق لي، فلا شيء يضايقني أكثر من المآدب الدبلوماسية.»

قال أبي: «بيت؟ يا له من حظ رائع، كم كرهت أن تبقى ابنتي هناك في احد الفنادق. أعلم أنك لن تنزعج أبداً من إقامتها مع وصيفتها في منزلك.»

ضحكت دنيز وهي تتابع:

«ليتك رأيت وجه ابن عمي في تلك اللحظة. لكن لم يكن هناك شيء ليقوله غير الموافقة على أن تبقى عنده في بيته.»

رغبت ايلينا أن تقول انها لن تشعر بالراحة في الاقامة عند شخص لا يرغب بوجودهما.

لكنها كانت تعلم أن دنيز لن تصغي إليها.

كل الذي كانت تتمناه أن لا يكون المركيز مخيفاً كما كانت تصوره لها دنيز.

بعد ذلك تكلمت دنيز عن حبيبها هنري وسكوت حتى وصولهما إلى لندن.

كان هناك خادماً بانتظارهما لحظة وقوف العربة للاهتمام بامتعتهما ونقلها إلى عربة أخرى كانت معدة لذلك.

فكرت ايلينا أنه بلا شك هكذا يتم السفر من بلد إلى آخر.

لم تذكرا اللورد تفرتون ثانية إلا عندما غادرتا المحطة إلى بلغراف سكوير في عربة جميلة جداً.

فيما كان المرافق وخادمة دنيز الخاصة والأمتعة في عربة أخرى.

قالت دنيز: «الآن، لا تنسي عندما تتعرفين إلى ابن عمي ماركوس ان تتصرفي ببرودة مطلقة معه، ولا تدعيه يعتقد أنك تأثرت به، فأنت انسانة مهمة، وأنت غير مستعدة للتفكير، ولو للحظة، أن هناك أي انسان في الدنيا، أهم منك!»

ضحكت ايلينا: «آه، دنيز، أنت تجعلين الأمور صعبة علي، هل حقاً تتخيلين أنني ساشعر باهميتي أكثر من اللورد تفرتون أو أي شخص له قيمة اجتماعية في لندن؟»

قالت دنيز بثبات: «أنت أفضل منه بكثير لأنك أكثر لطفاً، لكن ان حاول أن يتجاهلك تجاهليه دعيه يشعر أنك أيضاً لا تشعرين بوجوده.»

فكرت ايلينا أن ذلك أمر صعب عليها، لكن لا غاية من ذكر ذلك.

وصلتا إلى بيت جميل جداً في بلغراف سكوير.

لاحظت ايلينا فور وصولها أن هناك رئيس خدم مع أربعة مرافقين بانتظارهما في القاعة.

تقدم رئيس الخدم أمامهما وقادهما إلى المكتب.

كانت غرفة أنيقة جداً وجدرانها ملأى بالكتب.

كان اللورد تفرتون المخيف جالساً أمام مكتب فخم للغاية إلى جانب النافذة.

من اللمحة الأولى، فكرت ايلينا أنه أجمل بكثير من الصور التي كانت تتوقعها.

عندما وقف، على مضض، علمت ايلينا كيف تشعر سبقتها حياله.

قالت دنيز بفرح وكأنها لا تشعر بانزعاجه:

«ها قد وصلنا، يا ابن عمي ماركوس، ودعني أعرفك على السيدة لاتغلي، التي كانت لطيفة جداً لتصطحبني معها إلى [illegible].»

[illegible] اللورد تفرتون على دنيز ثم استدار نحو ايلينا.

[illegible] أنها رأت نوعاً من الدهشة في عينيه قبل أن [illegible]

«كيف حالك، يا سيدة لانغلي؛ لا اعتقد أننا تقابلنا سابقاً.»

قالت ايلينا بصوت كانت تأمل أن يكون مناسباً: «لا أعتقد ذلك، لأنني أعيش في الريف.»

سلم عليها وقال كأنه يقذف الكلام قذفاً:

«أعتقد ان علينا المغادرة فوراً للمحطة، ولقد تأكدت من اننا سنتناول الغداء في القطار، فالطاهي حضر كل شيء من الآن.»

قالت دنيز:

«هذا خبر جيد، يقول أبي دائماً ان عندك أفضل طاه في لندن.»

قال اللورد تفرتون بذات اللهجة: «اتمنى أن يكون ذلك صحيحاً. والآن علينا الانطلاق.»

فتح لهما الباب ليغادرا قبله.

تابعت ايلينا بتسلية، مشهد أحد الخدم يحمل له قبعته، والثاني معطفه، والثالث قفازيه والأخير عصاه.

أسرع رئيس الخدم أمامهم ليفتح لهم باب العربة.

عندها أدركت ايلينا أن اللورد تفرتون لن يغادر معهم بل سيذهب بمفرده في عربة وراءهما.

كما أن هناك عربة أخرى للأمتعة وخادم خاص لهم غير الخادمة التي أحضرتها دنيز.

رغبت ايلينا في الضحك لأنها لم تتخيل هذا المهرجان للرحلة.

لكنها كبتت ضحكتها حتى اقفلت أبواب العربة وانطلقت الخيول.

عندها قالت لدنيز: «هذا تماماً كمراسيم الدفن.»

ضحكتا معاً حتى انهمرت الدموع من عينيهما.

قالت دنيز: «أعلم أنك ترين الأمر مضحكاً، لكن الآن أصبحت تدركين كم كان الأمر صعباً لنقنع ابن عمي بمرافقته إلى روما.»

قالت ايلينا:

«أرى الأمر كله نكته، هل تستطيعين تخيل أربع عربات من أجل ستة أشخاص؟»

ضحكتا ثانية حين قالت دنيز: «علينا أن نكون جديتين، فإني متأكدة من أن ابن عمي ماركوس سيعتقد ان هذا هو تصرفنا الطبيعي في البيت.»

قالت ايلينا: «كل ما آمله أن لا يراني هناك.»

علقت دنيز:

«إنني متأكدة تماماً أن لا نية له بذلك، فلقد علمت أنه على ارتباط مع الكونتيسة غراي الجميلة، والتي هي من دون شك من أشهر جميلات لندن.»

قالت ايلينا: «أعتقد أنني قد رأيت صورة لها في مجلة نسائية.»

وافقتها دنيز:

«أعتقد ذلك. انها جذابة بشكل كبير ولديها الكثير من الاصدقاء المعجبين بها.»

قالت ايلينا:

«إذا كان اللورد تفرتون أحدهم، لماذا يتركها ويغادر إلى روما؟»

«أبي يستطيع أن يجيبك على هذا السؤال. فهو عادة لديه

أعمال خاصة لإيرل غرانفيل، الذي هو سكرتير خاص للعلاقات الخارجية.»

نظرت ايلينا بدهشة وقالت:

«هذا يبدو مثيراً وغريباً!»

قالت دنيز: «أشك بذلك! أتوقع أنه لا يرغب في التكلم إلا مع الملك أو شخص مثله. وعندما يعود إلى بلاده سيتلقى وساماً جديداً يضاف على بدلته المليئة بمثلها اجمالاً!»

ولأنهما تجدا الأمر مضحكاً عادتا إلى الضحك ثانية.

وصل الجميع إلى المحطة. لم تتفاجأ ايلينا بوجود عربات منفصلة ليصلوا إلى دوفر. طالما أنه كان بمفرده لمسافة قصيرة.

رافقهم المسؤول عن القطار والذي يرتدي بذلة خاصة لها أزرار ذهبية.

وقادهما إلى مقصورتهما ثم غادر.

أقفل باب المقصورة بحيث أن لا أحد يتمكن من الدخول عليهما.

لم يحضر اللورد تفرتون ليسألهما إن كانتا بحاجة إلى أي شيء أو انهما مرتاحتان في الرحلة.

دخل أمامهما إلى العربة التي كانت معدة خصيصاً له ليبقى بمفرده.

فكرت ايلينا أنه تصرف فظ من قبله.

ورأت أن ابنة عمه محقة عندما قالت انه مغتاظ جداً من رفقته مع سيدتين لا يرغب بهما.

قالت دنيز:

«الآن نستطيع أن نرتاح، أخلعي قبعتك، فهذا قطار سريع، لن يرانا أحد قبل أن نصل إلى دوفر.»

عملت ايلينا كما اقترحت صديقتها.

فتحت دنيز سلة في الغرفة وشعرت للتو أنهما في مكان يؤمن الكثير من الترف.

كانت ايلينا تشعر بجوع شديد.

فلقد تناولت فطوراً خفيفاً مقتصراً على بيضة واحدة ولا يوجد غيرها أصلاً.

تحتوي السلة على كل ما يستطيع المرء أن يفكر به كطعام شهي.

فقد كان يوجد فطائر باللحم، كركند، دجاج بارد وسلطة محضرة بصلصة هولندية، كل ذلك مرفق بحلوى بالشوكولا والكريما لا يستطيع المرء إلا أن يسكب ثانية منها مهما كان متخماً.

كما كان هناك أنواع كثيرة من العصير وقهوة محفوظة في وعاء خاص لتبقى ساخنة.

قالت ايلينا عندما انتهت: «إذا استمرينا في الأكل هكذا كل يوم، لن أتمكن من ارتداء أي من ثياب أمي. فأنت تعلمين أنها كانت نحيفة جداً.»

أجابت دنيز: «وأنت نحيفة أيضاً. انني متأكدة أنك كنت تقتصدين في الأكل.»

أجابت ايلينا: «لم أكن اقتصد، بل لم أكن أستطيع شراء كل ما احتاجه.»

وضعت دنيز يدها على يد ايلينا وقالت:

«لقد انتهى كل ذلك الآن، يا عزيزتي. فأنا سأهتم بك في المستقبل. ولن تشعري بالجوع أو بالوحدة... بعد الآن.»

• • •

في المقصورة الثانية لم يأكل اللورد تفرتون إلا قليلاً، بل كان يحتسي قهوته بكل هدوء.

فقد نهض بمزاج سيء عندما حاول الخادم ايقاظه.

لم يكن لديه أي رغبة بالسفر إلى روما.

لكنه، لم يكن يستطيع أن يرفض طلب سكرتير العلاقات الخارجية عندما اقنعه بالذهاب إلى روما حين قال:

«أنت تعلم يا تفرتون، أنك ناجح بالتعامل مع الملك وطاقتك أكبر من كل الدبلوماسين هنا.»

سأله اللورد تفرتون: «ماذا عن السفير؟»

قال الإيرل غرانفيل:

«أنت تعلم رأيي به من غير كلام. فأرجوك توقف عن عذابي وساعدني. فأنا لم أطلب منك الذهاب لو لم يكن الأمر طارىء.»

تنهد اللورد تفرتون وقال: «حسناً. لكن هذه هي المرة الأخيرة التي تطلب مني السفر من لندن عندما أكون سعيداً ومرتاحاً هنا.»

قال الإيرل غرانفيل: «أعلم أنها رائعة جداً، كما أنك لن تغيب عنها طويلاً.»

قال اللورد تفرتون: «سأتأكد من هذا الأمر جيداً.»

كما إنه ازداد غضباً عندما أجبر وبطريقة مهذبة على الموافقة على طلب والد دنيز.

ليس فقط أن ينقلها معه إلى روما بل أيضاً أن يتحمل وجودها في بيته.

مع ذلك فقد سأل والدها:

«ما هي الحاجة من طلبها للذهاب إلى روما، فقد علمت أن لديها الكثير من النجاح في لندن.»

أجاب الدوق روبرت سدجويك: «رغبة في المزيد من النجاح، كما أنها تتوق لرؤية روما، لا أستطيع أن أرفض لها طلباً.»

رغبته في الرفض كانت عارمة لكنه واجه صعوبة في ذلك تماماً كمهمته.

قال في نفسه: ها أنا هنا الآن، مجبر على الاهتمام بمراهقة مملة ستثرثر في أي موضوع بدون أي تفكير من رأسها، ومع وصيفة بدون شك ستكون في خريف العمر والتي ستجد أي عذر لتكلمه وتجلس معه.

هذا ما يحدث دائماً بأن تلاحقه النساء لأنه وسيم جداً كما أنه غني أيضاً.

كان يسعده جداً أنه رجل مهم.

كان متنبهاً تماماً أن ليس فقط الإيرل غرانفيل يطلب نصحه ومساعدته.

كان دائماً يفكر لو أنه فقير فلا شك أنه كان سيعمل في الخدمات السرية لأن ذلك يسعده ويثير اهتمامه.

لكن مع ذلك، كان يجد نفسه دائماً يقوم بخدمات خاصة لعديد من الوزراء.

فلقد كانوا على ثقة أنه يستطيع التعامل مع الغرباء بطريقة أفضل بكثير من كل الموظفين الموكلين بهذه المهام.

ما ان زاد القطار من سرعته حتى أخذ اللورد تفرتون يفكر بالسيدة لانغلي أنها مميزة.

لم يكن يتوقع قط أن يرى امرأة جميلة بهذا الشكل.

لم يكن يستطيع أن يحدد الفرق بينها وبين الباقين من اصدقائه من حيث منظرها، لكنه كان متأكداً من وجوده.

عندها قال لنفسه بانها تبدو غامضة.

فكر بعد ذلك أن لا رغبة لديه في الترحيب بضيوفه وأنه من الأفضل له ألاّ يراهما كثيراً.

في الحقيقة، فكر الآن، أنه ليس هناك من سبب يدعوه لرؤيتهما.

لديه عمل خاص في روما وبالتأكيد لا دور لهما فيه.

كان متأكداً تماماً أن اصدقاءه في روما لا علم لهم بوجوده في روما.

لكنه تذكر الأميرة سيسلا بورغيز. زوجة الأمير بورغيز.

وان لم تخنه ذاكرته كان الأمير قد أرسل خارج روما لمهام خاصة لا تثير اهتمام زوجته اطلاقاً.

بدت ابتسامة خفيفة على وجه اللورد تفرتون القاسي.

فكر ان أفضل حل للتخلص من قساوة العمل الموكل إليه عليه أن يتصل بالقصر.

كان متأكداً تماماً أنه سيرحب به هناك.

زاد القطار من سرعته ووجد اللورد تفرتون رأسه يترنح.

لم يكن قد نام أكثر من ثلاث ساعات.

وكما يحدث دائماً عندما يترك سريره الدافيء لفجر بارد، كان يسأل نفسه ان كانت التسلية واللهو والفوضى التي يعيشها لها أي قيمة.

إنه السؤال الوحيد الذي كان يقض مضجعه.

سأل اللورد تفرتون نفسه: «ماذا أريد؟ عما أبحث؟»

إنه سؤال واجهه عند الفجر.

عندما بدأ النهار كان يشعر بأن حياته سخيفة وأنه بلا شك مستهتر بحياته.

فكر: «إذا كنت ساخراً في الثلاثين؛ باي حال ساكون عندما أصبح في الأربعين.»

لم يكن يرغب أن يجد جواباً لسؤاله.

كل الذي كان يطمح إليه أن يجد حياته مليئة، كاملة وأن لا يكون هناك أمر يرغب به ولا يستطيع الحصول عليه.

كان دائماً يجد نفسه يفكر في السؤال ذاته.

«عما أبحث؟ وإلى أين أسير؟... وما هو هدفي الحقيقي؟»

كان عقله يجيبه دائماً أنه سيظل ضائعاً هكذا لأنه يصل إلى كل ما يريده بسهولة ويسر.

كان يتمنى لو أنه يستطيع أن يغير في نفسه كما يستطيع أي انسان أن يغير ثيابه.

وقرر عندما شعر أن القطار يزيد سرعته، أنه لن يتصل بعد عودته بأي من اصدقائه القدماء.

الفصل الثالث

انزعج اللورد تفرتون عندما وصلوا إلى كالاس.
فلقد أدرك أن عليه أن يشارك غرفة الجلوس الخاصة
الذي كانت قد خُصصت في القطار إلى روما مع ابنة عمه
ووصيفتها.
كان قد اجتاز القناة بهدوء وسلام، جالساً في غرفته
الخاصة يقرأ جريدة التايمز والمورننغ بوست.
لم يفكر بالرحلة إلى روما إلا عندما ترجلوا من العربة.
فهو يهتم بكثير من الأمور الدبلوماسية، ولأنه غني جداً،
فهو يسافر دائماً على ذات مستوى رحلة الملكة فكتوريا.
فلديه غرفة للجلوس نقالة خاصة بالقطار.
تتألف من غرفة جلوس مريحة فيها اريكة وكراسي عالية
كما هناك أيضاً غرفتا نوم.
إذا سافر بمفرده مع خادمه الخاص، كان الخادم ينام
في الغرفة التي وضعت فيها الامتعة.
الذي أزعجه كثيراً عندما صعد إلى القطار أنه تذكر أن
إحدى غرف النوم أكبر وأجمل من الأخرى.
تلك التي كان يقطن فيها دائماً عندما يسافر.
أما الآن فقد أضيف لها سرير آخر كي تتشارك فيها دنيز
مع وصيفتها.
ذهب إلى غرفة النوم الصغيرة وهو يفكر كم أن النساء
مزعجات.

خاصة إذا كن من قريباته أو هو مسؤول عنهن.

لكن لم يكن هناك باليد حيلة. فوجد أفضل حل له الآن ان يبدل ثياب السفر بثياب أكثر راحة.

فرحت ايلينا مثل دنيز بغرفة الاستقبال.

قالت دنيز:

«لم أسافر من قبل بمقصورة مثلها، لكن والدي أخبرني كيف تسافر الملكة. وهو نفسه كان له مثل هذه المقصورة عندما سافر إلى فيينا مع والدتي.»

قالت ايلينا: «إنه أمر رائع! أحب كثيراً المقاعد المريحة. غير أننا سنبقى محجوزتان في غرفة النوم، لكن يسعدني جداً البقاء معك.»

وافقتها دنيز:

«وأنا أيضاً، لكن علينا البقاء حذرتين عندما نتكلم أمام ابن عمي ماركوس.»

خلعتا قبعتيهما ومعطفا السفر، ثم قالت ايلينا:

«لنبدل ثيابنا، فما زلنا في ذات الثوب منذ الصباح. والفستان الذي ارتديه ضيق قليلاً.»

أجابت دنيز: «تبدين جميلة فيه للغاية، لكن لنغير ثيابنا. هل تتذكرين في أي حقيبة وضعت الثوب الذي تريدينه الآن؟»

كان هذا سؤالاً صعباً.

استغرقت فترة من الوقت حتى وجدت ايلينا، ثوباً مناسباً لفترة بعد الظهر والتي رأته مناسباً للعشاء في القطار.

ارتدت دنيز ثوباً أبيض كانت قد أحضرته من لندن.

بعد أن صففتا شعرهما ذهبتا إلى غرفة الاستقبال.

كان اللورد تفرتون جالساً في مقعد مريح يقرأ بعض الاوراق.

نظر إليهما عندما وصلتا وبدا وكأنه يتظاهر بالوقوف لهما.

قالت دنيز بسرعة: «لا نرغب في ازعاجك، يا ابن عمي ماركوس إذا كنت تعمل، نستطيع الانتظار في غرفتنا حتى يجهز العشاء.»

أجاب اللورد تفرتون:

«لقد أصبح جاهزاً الآن، لذلك أجلسا قبل أن يزيد القطار من سرعته.»

قال ذلك بصوته الأجش وكأنه يبذل مجهوداً ليتكلم مع دنيز.

ما ان جلستا حتى دخل ستيفنز خادم اللورد تفرتون مع مرافق له وقد احضرا طعام العشاء.

سيعودان إلى غرفتهما الخاصة عندما يتوقف القطار في المحطة.

وكما توقعت ايلينا فلقد أحضر اللورد تفرتون العشاء معه من لندن.

كان شهياً تماماً كالغداء الذي تناولته على الطريق إلى دوفر.

الفرق الوحيد انه كان هناك تنوع أكبر من المرطبات والعصير.

تكلموا قليلاً في بداية الأمر. بعدها قالت ايلينا لدنيز:

«اتوق بشدة لرؤية روما. فلقد قرأت الكثير عنها في كتب

التاريخ. لكن لم أفكر قط انني سأتمكن من رؤية كنوز روما بعيني المجردة.»

سألها اللورد تفرتون قبل أن تبادر دنيز إلى الكلام: «لقد قرأت عن روما؟»

أجابت ايلينا: «الكثير، الكثير من الكتب.»

كانت تفكر أنها من أفضل الأماكن التي كان يحبها والدها.

وقد حدثها عن الساحة العامة وكل المباني التي ترجع إلى عهد الامبراطورية الرومانية العظمى.

أجاب اللورد تفرتون: «إنني مندهش حقاً.»

نظرت ايلينا إليه وسألته بلهجة دفاعية: «بأنني مهتمة كثيراً بروما أو بأنني أقرأ كتباً ذات أهمية؟»

بانت على شفتيه ابتسامة ساخرة قبل أن يجيب: «الاثنين معاً.»

اعترضت ايلينا: «هذا أمر غير عادل، فلو أنني رجل لتوقعت مني أن أهتم بمدينة عظيمة كروما وأن أهتم بتاريخها وبالطريقة المدهشة التي تمكنت من خلالها روما أن تمتد وتتوسع.»

حركت يدها بطريقة اعتراضية قبل أن تتابع:

«لكن بما أنني امرأة فلقد ضمنت بصورة قاطعة أنني لا أقرأ إلا المجلات النسائية وفي بعض الأحيان قصص طويلة مسلية.»

ضحك اللورد تفرتون وبدا بوضوح ان هناك فرحاً صادقاً في صوته.

قال: «اعتذر! حقاً أعتذر، لكن معظم النساء اللواتي

أعرفهن، كما تقولين يقرأن المجلات النسائية من الغلاف إلى الغلاف ولا يجدن الوقت الكافي لقراءة أي شيء آخر.»

قالت ايلينا:

«إذن أتمنى أن تنظر إلى النساء بطريقة أخرى في المستقبل، لأنني أؤكد لك أنني لست المرأة الوحيدة التي تهتم بكتب التاريخ. لكن أعتقد أنك لا ترى منهن الكثيرات في مجتمعك.»

قال اللورد تفرتون وعيناه تلمعان: «أمر مسلي.»

كانت دنيز تستمع إليهما بدهشة وفرح معاً.

فلقد كانت ايلينا تتصرف كما تريدها بالضبط.

فكرت أنه بلا شك أمر رائع أن يجد ابن عمها المغرور امرأة تقف له بالمرصاد.

قرر اللورد تفرتون أن يسأل ايلينا ليتأكد من معرفتها تاريخ روما.

تكلم أولاً عن الباسيليقا، وكما توقع، كانت تعرف الكثير عنها، فقالت: «دائماً كنت أفكر، كم هو أمر رائع بناء قسطنطين الكبير لهذه الباسيليقا في المكان الذي دفن فيه سان بطرس بعد تعذيبه وإعدامه في عهد الطاغية نيرون.»

أدركت دنيز بمراقبتها لهما كيف ارتفع حاجبا ابن عمها دهشة لكنه بقي صامتاً.

تابعت ايلينا وكأنها تلاحق أفكارها:

«أكثر ما أرغب في رؤيته في روما هي نافورة ترافي.»

قال اللورد تفرتون: «أنت الآن تبدين مثل باقي النساء تماماً. فأنا لم أقابل امرأة لم ترغب إلا بالتمني على هذه النافورة.»

قالت دنيز: «وكيف يتم ذلك؟»

أجاب اللورد تفرتون:

«بنيت هذه النافورة في عهد نيكولو سالفي عام ١٧٦٢، وهي جميلة جداً، ولها شهرة عالمية أنها تجلب الحظ. فكل من يرمي قطعتا نقد في النافورة وهو مدير ظهره لها تتحقق له امنيتان.»

قالت دنيز: «إنه أمر مثير!»

أكلمت ايلينا القصة: «أول أمنية أن تعودي ثانية إلى روما. أما الثانية فان أمنيتك الشخصية ستتحقق إلا إذا كذب راوي القصة.»

ضمت دنيز يديها إلى بعضهما وقالت: «إنه المكان الأول الذي سنزوره في روما!»

أجابت ايلينا: «بالطبع، يا عزيزتي.»

كانت تعلم تماماً ماذا ستتمنى قريبتها.

وما إن نظرت إليها حتى حزرت أنها تفكر بهنري وسكوت بفرح.

قال اللورد تفرتون بصوت أجش:

«اعتقد أنك تعرفين آمال دنيز بإفراط، بعد كل شيء، لا أعتقد أن كل شخص يتمنى عند نافورة تراقي سيكون محظوظاً.»

حركت ايلينا يديها معترضة، وقالت: «لن تفسد علينا قصتنا، لقد اتيت أنت إلى روما سابقاً، لكن بالنسبة لدنيز

ولي انها مغامرة، ونريد ان نصدق كل شيء، نتمتع بكل شيء ونكون سعيدتين جداً بأنه سنحت لنا الفرصة لمشاهدة روما...»

قالت هذا بجدية وصدق جعلت اللورد تفرتون يصمت ثانية.

لم يكن يستطيع التفكير إلا أن السيدة لانغلي تختلف جداً عما كان يتوقع.

كانت تختلف تماماً عن كل النساء التي كان يعرفهن في لندن.

فكر أن الحماس الواضح في صوتها مؤثراً. كما كان متأكداً من صدقها لأنها من اللواتي تعشن في الريف.

فكل ما تراه يدهشها ويعجبها.

في ذات الوقت كان جمالها قد سيطر عليه فعلاً.

فقد رآها رائعة من اللحظة الأولى التي لمحها بها.

والآن بدون قبعة تبدو أصغر وأكثر جمالاً.

كان يتساءل كم تبلغ من العمر، لكنه كان يعلم أنه سؤال لا يستطيع أن يسأله.

فكر، أنها بالتأكيد كانت تحظى بزوج غني جداً.

رأت دنيز كيف ينظر إلى العقد الظاهر حول عنق ايلينا الذي وضعته بعد أن غيرت ثيابها.

كان عقداً ناعماً وإلا سيبدو غير مناسب لرحلة في القطار. لكن الماس في داخله يناسب القرطين والبروش الذي تضعه على ياقتها.

ابتسمت دنيز بسرها، فلقد علمت أن ابن عمها ماركوس قد خدع تماماً، كما كانت ترغب بالضبط.

قالت لنفسها انها كانت ذكية جداً باختيارها لايلينا.

ما إن دخلت ايلينا بنقاش تاريخي حتى وجدت من الصعوبة عليها ألاّ تتابع.

كانت تفتقد والدها كثيراً بعد ما قتل، لأنه كان دائماً يتكلم معها ويحاورها كند له.

كانت تدخل معه في نقاشات عقلانية في كثير من المواضيع.

كان التاريخ الموضوع المفضل لهما معاً لكن أمها لم تحاول ولا مرة أن تتدخل في نقاشهما.

كانت السيدة لانغلي سعيدة جداً لسماعها للاثنين اللذين تحبهما كثيراً.

كانت تخبرهما عند نهاية النقاش أنهما ذكيان ومن الممتع الاستماع إليهما.

قالت مرة لزوجها: «علينا أن نكون حذرين، يا عزيزي، والا ستصبح ايلينا عانساً، فأنت تعلم كم يخاف الرجل من المرأة الذكية.»

كان جواب زوجها: «إذا كانت المرأة بهذا الذكاء، لن تسمح لأي رجل أن يشعر أنه متخلف عنها، مهما كان غبياً.»

لكن بعد وفاة والدها كانت ايلينا تفكر بيأس أنها لن تتمكن أبداً من التمتع بتلك النقاشات العقلانية.

أما الآن فهي تجد نفسها سعيدة بهذا النقاش مع اللورد تفرتون.

لم تكن تفكر أنها بذلك تتبع تعاليم دنيز بالوقوف في وجهه وأن تجعله يذهل بشخصيتها.

على كل حال، كان يوماً طويلاً. وعندما تثاءبت دنيز علمت ايلينا أنه حان وقت النوم.

سألت اللورد تفرتون: «في أي وقت نصل إلى روما؟»

أجاب: «قبل المساء بقليل، لذلك ليس هناك من حاجة للنهوض باكراً من أجل الفطور، على الرغم من أن ستيفنز سيحضر الفطور في تمام التاسعة.»

قالت دنيز: «بكل الأحوال لا تنتظرنا.»

أجاب اللورد تفرتون: «لا رغبة لي بانتظاركما.»

عاد يتكلم بذات اللهجة التي لا تتحملها منه.

عندما عادتا إلى غرفة نومهما قالت دنيز هامسة.

«لقد كنت رائعة! لكن، هل رأيت كيف يعاملني؟ يظنني ما زلت طفلة!»

قالت ايلينا: «أوافقك الرأي، انه مخيف.»

ابتسمت دنيز وهي تجيب: «لكنك وقفت له بالمرصاد، وقد تفاجأ كثيراً بذكائك.»

ارتدتا ثياب النوم ثم ذهبت كل واحدة منهما إلى سريرها.

• • •

عندما وصل اللورد إلى غرفته كان يسمع بوضوح ضحكات مرافقتيه.

فكر انه بلا شك صوت يافع جداً.

كان يسمع ضحكات كل النساء اللواتي يعرفهن مثل رنين الأجراس والتي كانت بالحقيقة كلها احتيال وخداع.

أما صوت ضحكات هاتان المرأتان في الغرفة

المجاورة، كان أشبه بصوت تلميذات المدارس البريئات.

قال في نفسه: من الواضح أن السيدة لانغلي قد أتت من الريف، في الوقت نفسه، ولو أنها غير منتبهة للأمر اطلاقاً، كانت ستصبح ذات شهرة واسعة لو قدمت إلى لندن.

لاحظ ان طلتها البهية والطريقة اللائقة في مشيتها، وجمالها النادر ستدهش حتى أمير ويلز.

لكنه فكر أنه أمر خاطىء أنه يفكر بها بهذا الشكل.

فهي تشبه زنبقة الوادي.

ومن الخطأ أن تتغير إلى زهرة اصطناعية ومن غير عبير.

فكر بسره: تباً لكل ما يجري، لقد أصبحت شاعراً!.. ما ان أصل إلى روما حتى اتصل بالأمير، وهذا أفضل لي»

عندما حاول النوم وجد أنه لن يتمكن من ذلك.

كان ما زال يصغي إلى أصواتهما بالرغم من ضجيج القطار.

لم يكن يعلم عما تتكلما.

لكن الحيوية والشباب في نبرة صوتهما مميزة بوضوح، وجعلتاه يمضي وقت طويل من الليل قبل أن يتمكن من النوم.

* * *

في اليوم التالي كانت ايلينا مبتهجة بما ستراه من النافذة.

فلم تبد أي رغبة بالتحدث إلى اللورد تفرتون بعد أن تناولوا الفطور وهذا ما أدهشه.

فلقد كان معتاداً على النساء أن تنظر إليه بتودد، حتى قبل أن يبدي أي اهتمام بهن.

حتى أنهن يفعلن كل ما بوسعهن ليجذبن انتباهه.

على العكس تماماً، فقد جلست ايلينا في كرسي قرب النافذة.

كانت مولعة بالنظر إلى المنطقة التي يمروا بها.

وكانت بطريقة عرضية تتحدث إلى دنيز.

«آه، انظري إلى أولئك الفلاحين الذين يعملون في الحقول... انظري إلى تلك الفيلا الرائعة! انني متأكدة أنها ما زالت ملكاً لأحد النبلاء والذي ورثها عن أجداده منذ قرون.»

كان اللورد تفرتون يقرأ الجريدة التي يجب أن تثير انتباهه قبل وصوله إلى روما، لكنه لم يستطع إلا الاصغاء إليها.

اجتازوا الحدود إلى ايطاليا وكانت المناطق التي يمروا بها مختلفة تماماً عن بلادهم.

فرحت ايلينا كثيراً بالمباني المرتفعة وبشكل البيوت وبالقرى التي تشبه المناظر البديعة التي ترسم في اللوحات الشهيرة.

أعلن اللورد تفرتون بنوع من السخرية عندما جلسوا إلى الغداء:

«استطيع القول انك ترغبين بالقيام بدور المراقب المتحمس عندما تصلين إلى روما.»

أجابت ايلينا: «بالطبع ذلك، سيكون أمر سخيف مني إن لم أزر كل الأمكنة والتي سأحاول أن احتفظ بها

بذاكرتي في حال لم تتح لي الفرصة للعودة إلى هناك.»

قال وكأنه أحرز نقطة لصالحه: «إذن امنيتك في ترافقي لن تتحقق.»

قالت ايلينا:

«لا أدري، لربما تسنح الظروف واعود مرة أخرى في المستقبل.»

تناقشا بقسوة، وبصورة غير متوقعة، كما تفعل عادة، كما اصرت بالجلوس قرب النافذة.

قالت: «اريد الجلوس هنا، خوفاً من أن أخسر رؤية أي شيء مهم في المنطقة.»

التقط اللورد تفرتون جريدته ثانية.

ما ان فعل ذلك حتى فكر أنه لم يتذكر أي سابقة له انه كان مع امرأة ويبدي لها أي اهتمام وتجد أن المناظر الطبيعية أو أي شيء آخر مهم أكثر منه.

فكر بسخرية: لا شك أن السيدة لانغلي امرأة غير عادية اطلاقاً.

وصلوا إلى روما في ساعة متأخرة وكان التعب والارهاق بادٍ عليهم.

حل الظلام قبل أن يصلوا إلى البيت الذي استأجره اللورد تفرتون.

كان أكبر بكثير مما توقعت ايلينا ويقع قرب قمة «درج اسبانيا.»

علمت بعد وصولها بقليل أن الفيلا الرائعة التي بقربهم هي فيلا بورغيز. وهي تعود للأميرة الجميلة بولين بورغيز التي كانت شقيقة نابوليون بونابرت.

أعادتها الذكرى إلى كل ما قرأته عنها، ووجدت نفسها مهتمة كثيراً بفكرة أنها لا تبعد كثيراً عن بالازو بورغيز، التي تقع تحت البيت قرب نهر التيبر.

تنهدت وهي تفكر: لن يسعدني الحظ للدخول إليه، لكن ساراه من بعيد عندما أمر قربه.

كانت دنيز تفكر فقط بهنري وسكوت وقد سألت ايلينا مئات المرات كيف ستتمكن من الاتصال به.

بقيت تقول: «مهما حدث، يجب ألاّ يفكر أنني أتيت إلى هنا لمجرد رؤيته.»

سألت ايلينا: «هل تعرفين أين يقيم؟»

«بالطبع أعرف، إنه يقيم مع جدته، الكونتيسة دواغير، التي تعيش في روما بسبب وضعها الصحي، فالطقس هنا يناسبها أكثر بكثير من انكلترا.»

ابتسمت قبل أن تضيف:

«أفكر دائماً أنها تخاف من فكرة وجود حفيدها في بلاد زوجها، مع أنها تقول له كثيراً ان عليه أن يتزوج ويؤسس عائلة.»

وافقتها ايلينا: «وهذا هو بالطبع ما سيفعله تماماً!»

أخيراً قررتا أن ترسل دنيز رسالة صغيرة إلى الإيرل هنري وسكوت، تخبره فيها أنها وصلت إلى روما للبقاء برفقة السيدة لانغلي ويسعدها لقاءه ثانية.

أخذت كتابة الرسالة الكثير من الوقت.

وقبل أن تذهبا إلى النوم سلمت دنيز الرسالة إلى أحد الخدم وطلبت منه أن يرسلها إلى فيلا الكونتيسة دواغير في الصباح الباكر.

عندما تحضرتا للنوم، قالت دنيز: «تمني يا ايلينا ان تجري كل الأمور على خير ما يرام.»

أجابت ايلينا: «بالطبع سافعل، يا عزيزتي، لا تقلقي. سنذهب إلى نافورة تراقي في الصباح، وسنرمي بعض النقود في الماء ونتمنى أن تعيشي أنت وهنري في سعادة تامة طوال العمر.»

قالت دنيز:

«أنا اعتقد أن كل ما تتمنيه عند النافورة سيتحقق على رغم ما قاله ابن عمي ماركوس.»

أجابت ايلينا: «لقد كان يرغب بالسخرية منا ويحاول أن يرغمنا على الموافقة على رأيه.»

ذكرتها دنيز: «لقد أخبرتك أنه مخيف.»

صححت لها ايلينا: «لا، ليس مخيفاً. أرى أنه ذكي، لكن بطريقة ما لا أستطيع فهمها، اعتقد أنه يحتقر النساء.»

قالت دنيز مستفهمة:

«يحتقر النساء؟ كيف تفكرين بذلك! فهو لديه العديد من الصديقات والأصدقاء.»

وافقتها ايلينا: «أفهم أن الحياة معه مأساة، لكني أتمتع كثيراً بالنقاش معه.»

قالت دنيز: «انها متعة لن تعيشيها ثانية. فلقد كان واضحاً عندما طلب منه أبي ان نبيت في منزله، انه لن يقدم لنا دقيقة واحدة من وقته.»

ضحكت ايلينا: «انني متأكدة أننا سنتدبر أمرنا جيداً في روما من دونه. والآن اذهبي إلى النوم وتأكدي أن

الأمور ستسير على ما يرام حتى قبل أن نذهب إلى نافورة التمني.»

* * *

في صباح اليوم التالي، بعد أن انتهتا من تناول طعام الفطور وصل الإيرل.

فكرت ايلينا بارتياح لمجرد رؤيته عندما دخل إلى الغرفة أنه جذاب.

يبدو بوضوح أنه من أصل انكليزي ووجهه واضح التعاليم. وهذا ما يفرحها.

أعلن عن وصوله بعد أن غادرتا غرفة الطعام ودخلتا غرفة الجلوس.

كانتا تفكران ماذا ستفعلان خلال النهار.

لم يكن هناك من حاجة للقول ان اللورد تفرتون تناول فطوره بمفرده ولم يره احد منذ الصباح.

ما إن دخل الإيرل إلى الغرفة حتى تأكدت ايلينا ان حبه لدنيز واضح في عينيه.

سأل دنيز:

«كيف حدث انك هنا؟ لم أتخيل قط أنك قد تأتين إلى روما.»

بصعوبة جمة سيطرت دنيز على نفسها كي لا تصرخ من الفرح عند رؤيته.

حاولت أن تقول بلهجة عادية: «آه، السيدة لانغلي طلبت مني الحضور معها، وبدا لي أنها فرصة جيدة كي لا أتخلى عنها.»

أدارت وجهها ناحية ايلينا وقالت: «لا أعتقد أنك قابلت الإيرل وسكوت من قبل.»

قال الإيرل بأدب:

«كيف الحال؟ يسعدني الترحيب بك في روما، كما انه أمر مفرح أن تكون دنيز هنا.»

قالت ايلينا: «شكراً لك، كنا نخطط لكل الأماكن التي سنشاهدها.»

ما ان أنهت ما قالته حتى نظرت إلى دنيز وقالت: «اعذريني، يا عزيزتي سأصعد إلى الطابق العلوي لأبحث عن الكتاب الذي كنت أخبرك عنه ففيه وصف رائع لكل الأماكن التي نرغب برؤيتها، كما أنه سيساعدنا في تنظيم برنامجنا.»

سألتها دنيز: «هل أبحث لك عنه؟»

أجابت ايلينا:

«أعتقد أفضل لي أن أبحث بنفسي، فانا لست متأكدة تماماً بأي حقيبة وضعته، كما علي أن أعطي بعض التعليمات للخدم.»

خرجت من الغرفة بهدوء وهي متأكدة أنها تصرفت بذكاء وكياسة.

ما ان أغلق هنري وسكوت الباب خلفها حتى سار نحو دنيز، التي كانت تقف بجانب المدفأة.

لم تتكلم، ولكنها انتظرته حتى اقترب منها.

سألها: «هل أتيت إلى هنا لتعذبيني؟»

أجابت دنيز: «لا... لا أدري... ماذا تقصد؟»

أعلن غاضباً:

«لقد جعلتني كالمجنون! لقد ابتعدت لأنني قررت ألاّ أراك ثانية.»

«كيف تقدر... أن تكون... بهذه القسوة؟»

«هل بدا لك هذا التصرف قاسياً... أم انك فرحت جداً لرحيلي؟»

«بالطبع لم أفرح! لم أستطع التصديق أنك تفعل أمراً بهذه القساوة وأن تتخلى عني... بدون سبب... مهما كان الأمر.»

قال هنري:

«كان هناك سبب مهم على ما أعتقد. كنت تتصرفين بطريقة بغيضة مع تشارلز باترسون، وبدلاً من ان أبارزه حتى الموت، لم أجد ما أفعله سوى الرحيل.»

كان يتكلم بلهجة عدائية وغاضبة جداً.

عندها، لم تعد دنيز تقوى على التماسك والتظاهر بأن رؤيته أمر عادي، فسألته بصوت لم يعد هامساً:

«لا نستطيع أن ننسى... كل ما يتعلق بشأن تشارلز؟ لقد كنت سعيدة... جداً... قبل أن تصبح... غاضباً.»

سألها هنري: «أحقاً ما تقولين؟»

«إنها الحقيقة.»

التقت نظراتهما للحظات.

قال هنري بعدها:

«أحبك، تعلمين أنني أحبك، لكنني أريدك أن تحبينني أنت أيضاً.»

أرادت دنيز أن تجيب لكن الكلمات لم تصل إلى شفتيها.

علم انه ليس هناك من حاجة للكلام وليس هناك من حاجة للتفسير.

قال بفرح المنتصر: «أنت أيضاً تحبينني! أنت تحبينني، والآن قولي انك تقبلين الزواج مني.»

لأنها كانت تحبه كثيراً وخائفة جداً من فقدانه شعرت دنيز بالدموع تنهمر من عينيها.

عندما رأى دموعها وارتجاف شفتيها نظر إليها طويلاً. وقال: «سنعيش حياة سعيدة جداً، يا حبيبتي.»

* * *

انهت ايلينا ترتيب أغراضها.

وضعت ثيابها بطريقة تمكنها تماماً من معرفة كل ما تريد أن ترتديه.

سارت نحو النافذة لترى الجمال الخلاب لمدينة روما.

كانت تتساءل كم ستبقى دنيز بعد في الطابق الأرضي.

فهي مشتاقة للخروج ورؤية روما عن كثب.

هناك الكثير مما عليها رؤيته، كما هناك الكثير لتفعله.

فكرت أنها لا ترغب في تضييع أي دقيقة سدى.

شعرت أن الوقت يمر ببطء ممل.

وكانت تفكر أنها ستمضي بقية فترة الصباح في غرفتها، حين فتح باب الغرفة وأسرعت دنيز بالدخول.

رمت بذراعيها حول عنق صديقتها وقالت:

«لقد سوي الأمر، كل الأمور سارت علي أحسن ما يرام! إنه يحبني إنه... يحبني وسنتزوج قريباً! اه، يا ايلينا... انني... سعيدة جداً.»

قبلتها ايلينا وهي تقول: «وأنا سعيدة جداً لأجلك.»

قالت دنيز: «سنذهب الآن لرؤية جدة هنري وهو يريدك أن تأتي معنا.»

أجابت ايلينا: «انني متأكدة انك لا ترغبين بذهابي.»

«يقول هنري ان جدته متمسكة بالتقاليد، وترى أنه من غير اللائق أن أذهب معه في عربة بدون وصيفة!»

قالت ايلينا:

«إذن بالطبع سأذهب معك، أتمنى أن أبدو محترمة تماماً كما تريدني الكونتيسة دواغير.»

قالت دنيز: «ضعي أجمل قبعاتك، ريثما أذهب وأغير ثيابي.»

ركضت نحو غرفتها. بينما فعلت ايلينا تماماً كما قالت دنيز وأضافت إلى قبعتها بعض الريش.

التقطت حقيبتها وقفازيها متمنية أن تأخذ الكونتيسة انطباعاً جيداً عنها.

كانت دنيز متشوقة للبقاء بقرب هنري.

لذلك ارتدت أجمل ثوب عندها في لحظات قليلة.

عندما نزلتا إلى الطابق الأرضي كان هنري بانتظارهما في القاعة.

مدت ايلينا يدها قائلة:

«علي تهنئتك، أيها الإيرل، واتمنى أنك ودنيز ستعيشان حياة سعيدة.»

ابتسم الإيرل قائلاً: «شكراً لك، وبالطبع اتمنى ان تظل حياتنا سعيدة، أعدك بذلك، ستكون حياتنا مشتركة بعد

زواجنا لكن جدتي ستقيم حفلة لنا أو ربما عدة حفلات، قبل أن نغادر روما.»

شعرت ايلينا أن قلبها يقفز من الفرح.

كانت خائفة جداً عندما كانت تنتظر دنيز في غرفتها.

فكرت انه في حال أعلنت خطوبة دنيز وهنري، فهما سيغادران فوراً إلى انكلترا وستضطر للعودة معهما.

الآن تتمنى البقاء لعدة أيام فقط لمشاهدة ما تحلم برؤيته.

وصل الإيرل بعربة مفتوحة يجرها حصانين وكانت بانتظارهم. فيما كان السائس والخادم في المقصورة.

فكرت ايلينا فيما كانوا يخرجون إلى الباحة، انه من الصعب أن تجد حبيبين مغرمين مثلهما.

سعدت جداً من أجلهما، كما ان كل دقيقة تمر هي مهمة لها، فهي الآن في أجمل بلد في عينيها، في روما.

مهما كانت الامنيات التي ستتمناها على نافورة ترافي، كانت متأكدة أنه لن يعقل أن لا تعود ثانية إليها.

قال الإيرل وهو يسير على الطريق: «هذه الباحة معروفة بفيلا بورغيز، ومن الطبيعي أن نتناول العشاء الليلة في القصر.»

سألت دنيز: «نسهر هناك؟»

«دعى الأمير والأميرة جدتي إلى القصر منذ فترة طويلة، ولقد رحبت بالفكرة عندما أتيت إلى هنا، بالطبع ستسأل ان كنا نستطيع اصطحابك والسيدة لانغلي إلى الحفلة مع اللورد تفرتون أيضاً.»

شعرت ايلينا بالشوق والفرح لذلك.

فلقد قرأت الكثير عن قصر بورغيز، وكيف أنه يحتوي على أجمل كنوز روما.

لقد بني بواسطة كامليوس بورغيز عام ١٦٠٥.

لم تفكر قط انها ستسنح لها الفرصة لرؤية القصر من الداخل.

الآن تعلم تماماً أن هذا أجمل مرحلة تمر في حياتها كلها.

رغبت أن تخبر الإيرل بذلك.

عندما أدارت وجهها نحوه رأت أنه ينظر إلى دنيز.

شعرت أنهما في عالم غير عالمها.

الفصل الرابع

كانت الكونتيسة دواغير تعيش في فيلا فخمة محاطة بحديقة رائعة.

وقد ناهزت الثمانين من عمرها، لكنها لاتزال تحتفظ بجمال يدّل عن مدى شهرتها ايام صباها.

من الواضح جداً انها تحب حفيدها كثيراً.

تناولوا طعام الغداء هناك كان من إعداد طهاة اكفاء، ورافق الإيرل دنيز إلى الحديقة.

بعد ان اصبحتا بمفردهما قالت الكونتيسة إلى ايلينا:

«يسعدني جداً ان يتزوج هنري فتاة شابة بهذا الجمال، كنت دائماً قلقة عليه وراغبة بان يتزوج ويستقر.»

قالت ايلينا: «لا اعتقد انه حاول ان يختار عروساً اجمل، كما ان دنيز تحبه حقاً.»

ضمت الكونتيسة يديها وقالت بفرح: «هذا ما اريد سماعه، فلقد كنت دائماً اخاف ان يتزوج من فتاة ترغب بماله أو بمركزه.»

«اعلم تماماً انهما مغرمين ببعضهما، وهذا هو المهم.»

وافقتها الكونتيسة: «بالطبع ذلك.»

بعدها نظرت إلى ايلينا وقالت: «لا اتذكر انني قابلتك، أو قابلت احداً من عائلتك عندما كنت اعيش في انكلترا.»

قالت ايلينا بسرعة: «لقد عشنا دائماً في الريف بهدوء وسلام.»

قالت الكونتيسة:

«ربما هذا هو السبب، وهذا ما آمله كحياة سعيدة لدنيز وهنري.»

كان واضحاً تماماً انها لا تهتم بشيء غير حفيدها.

تنهدت ايلينا بارتياح.

فلقد كانت تخاف من ان تتعرض لاستجواب من العائلات الانكليزية.

فهم سيكتشفون بسهولة انها اصغر بكثير من الدور الذي تلعبه.

مكثوا عند الكونتيسة دواغير حتى بدا عليها التعب.

علمت ايلينا ان الحياة في ايطاليا جعلت الكونتيسة تعود على عادات البلاد من اخذ قيلولة صغيرة بعد الغداء.

عندها اشارت إلى دنيز ان عليهما الانصراف.

لم تطلب الكونتيسة منهما البقاء، وعندما اصبحوا خارج الباب الكبير سألت دنيز: «هل تمانعين اذا ذهبت انا وهنري بمفردنا.»

وافقتها ايلينا: «لن امانع ذلك ابداً، وأنا ساعود إلى البيت.»

قال هنري باصرار: «لن تفعلي ذلك بتاتاً.» نادى إلى عربة بحصان واحد كانت تقف في الساحة على مفترق قريب من الفيلا.

ما ان فعل ذلك حتى قالت دنيز لايلينا بصوت خفيض:

قالت ايلينا بسرعة: «لقد عشنا دائماً في الريف بهدوء وسلام.»

قالت الكونتيسة:

«ربما هذا هو السبب، وهذا ما آمله كحياة سعيدة لدنيز وهنري.»

كان واضحاً تماماً انها لا تهتم بشيء غير حفيدها.

تنهدت ايلينا بارتياح.

فلقد كانت تخاف من ان تتعرض لاستجواب من العائلات الانكليزية.

فهم سيكتشفون بسهولة انها اصغر بكثير من الدور الذي تلعبه.

مكثوا عند الكونتيسة دواغير حتى بدا عليها التعب.

علمت ايلينا ان الحياة في ايطاليا جعلت الكونتيسة تعود على عادات البلاد من اخذ قيلولة صغيرة بعد الغداء.

عندها اشارت إلى دنيز ان عليهما الانصراف.

لم تطلب الكونتيسة منهما البقاء، وعندما اصبحوا خارج الباب الكبير سألت دنيز: «هل تمانعين اذا ذهبت انا وهنري بمفردنا.»

وافقتها ايلينا: «لن امانع ذلك ابداً، وأنا سأعود إلى البيت.»

قال هنري باصرار: «لن تفعلي ذلك بتاتاً.» نادى إلى عربة بحصان واحد كانت تقف في الساحة على مفترق قريب من الفيلا.

ما ان فعل ذلك حتى قالت دنيز لايلينا بصوت خفيض:

«لا اعتقد ان معك نقود ايطالية.»

اجابت ايلينا: «لقد نسيت هذا الأمر.»

لم يكن معها الا الذي بقي من المال الذي صرفته في انكلترا.

وضعت دنيز بعض النقود الايطالية في يدها بينما كان هنري منشغلاً بعدم النظر اليهما.

بعدها قفزت إلى العربة بجانب هنري وانطلقا معاً.

صعدت ايلينا إلى العربة الصغيرة.

عندما سالها السائق إلى اين ترغب بالذهاب أجابت باللغة الايطالية.

اعلمته بعنوان البيت الذي تقيم فيه.

بعدها لمع ببالها فكرة جديدة.

قالت: «لقد غيرت رأيي، أرغب بالذهاب إلى نافورة ترافي.»

لم يكن هناك من حاجة لتعطيه العنوان.

ابتسم الحوذي الايطالي وضرب الحصان بالسياط.

كانت العربة مفتوحة مما اتاح لايلينا فرصة التمتع بحرارة الشمس والشوارع المكتظة بالناس وبرؤية زهر الاشجار التي كانت في طور التفتح.

كل ما في روما كان رائعاً.

كانت أمنيتها الوحيدة ان تتمكن من مشاهدة كل شيء قبل ان تصبح دنيز وهنري جاهزين للعودة إلى انكلترا.

اخذت فترة من الوقت قبل الوصول إلى النافورة بسبب اكتظاظ الشوارع الضيقة.

ادركت ايلينا انه من الصعب ان تصل إلى هناك بالعربة.

توقفت العربة على الطريق حيث يوجد رصيف يقود مباشرة إلى النافورة.

فكرت ايلينا انها تستطيع ان تعود بمفردها إلى البيت على قمة الدرج الاسباني.

لذلك دفعت للحوذي المال الذي طلبه ووضعت الباقي في حقيبتها.

مشت خلال الممر وهي تشعر بالسعادة حتى وصلت إلى النافورة.

كان هناك قليل من الناس على صفين من الدرج الحجري.

ينظرون إلى المياه التي تتساقط من النافورة.

وقفت ايلينا تحدق بدهشة في هذا الفن الرائع من النحت والهندسة.

تذكرت ان عليها ان تتمنى، فنظرت في داخل حقيبتها.

ما عدا بعض النقود الايطالية القليلة، كان هناك ثلاث باوندات من النقد الانكليزي وجنيهان ونصفا جنيهين انكليزيين.

بدا الأمر لها وكأنه تبذير.

بعدها قالت في نفسها لا شيء اهم الآن من طلب الأمنية.

لكنها تذكرت انه جرت العادة ان تكون الأمنية الأولى العودة إلى روما.

مع ذلك رأت ان هذه الأمنية ستسبب لها خسارة.

لذلك قررت: «ما الذي سأتمناه أولاً، ان تعيش دنيز كل حياتها مع الإيرل بسعادة ورخاء، اما الثانية فسأتمناها لنفسي.»

اخذت نصفا الجنيهين واقفلت حقيبتها.

بعد ان نظرت إلى النافورة بفرح كبير. ادارت بظهرها لها واغمضت عينيها.

ممسكة بنصف جنيه في يدها اليمنى وتمنت من كل قلبها بأن تظل دنيز سعيدة بحياتها.

بعدها رمت بالنقد من وراء كتفها.

امسكت بالقطعة النقدية الثانية بذات الطريقة.

ما ان اغلقت عينيها ثانية علمت ان ما تريده هو الحب الحقيقي مثل الذي يكنه هنري ودنيز لبعضهما البعض.

تمنت: «اطلب الحب، الحب الحقيقي، لأنني وحيدة جداً وهذا كل ما ابحث عنه في الحياة.»

رمت بالنقد في النافورة.

ما ان فعلت ذلك حتى شعرت ان حقيبتها في يدها اليسرى قد شدت بقوة.

للحظة لم تستطع التفكير بما يجري.

وما ان فتحت عينيها حتى رأت ولداً صغيراً، عاري القدمين ويرتدي ثياباً ممزقة كان يقفز بسرعة فوق الدرجات الحجرية.

بعدها كان يقفز في الممر الذي دخلت منه إلى النافورة.

صرخت بالانكليزية: «توقف!» بعدها بالايطالية «قف! قف!»

ركضت مسرعة على قدر استطاعتها وراء الصبي، لكنه اختفى في زحمة الشارع خارجاً.

علمت انها لن تتمكن من اللحاق به.

وقفت جامدة، شاعرة بنوع من الصدمة من الذي حدث معها.

وبدأت تتساءل عما ستفعل.

فجأة، صوت أجش تعرفه جيداً سألها من وراء ظهرها.

«ما الذي حدث الآن ليجعلك تبدين بهذا القلق؟»

كان اللورد تفرتون، ومن دون ان تدير رأسها اجابت:

«حقيبتي... قد سرقت... مع كل مالي... بداخلها.»

قال اللورد تفرتون ببطء:

«انها مصيبة حقاً، لكن اعتقد انك تعنين كل المال الذي احضرته معك صباحاً.»

للحظة، ولأنها مهتمة كثيراً بخسارتها، أدركت ابلينا ماذا يقول بصعوبة.

وبعد صمت قليل قالت:

«اجل... طبعاً... هذا ما عنيته. كيف كنت بهذا الغباء... بأن... اغمض... عيني؟»

سأل اللورد تفرتون: «كنت تتمنين على النافورة؟

لكن حسب العادات المتبعة، لا تستطيعين لوم نفسك اذا كان احد الأولاد المتسولين سرق حقيبتك.»

تمتمت ايلينا وكأنها تكلم نفسها: «انها... الحقيبة... الوحيدة لدي.»

قال اللورد تفرتون: «إذن علينا تقليل الخسارة لأمر مهم كهذا، سانقلك إلى متجر ليس بعيداً من هنا والذي اعتقد ان لديه افضل مجموعة من الحقائب في روما كلها.»

فجأة ادركت ايلينا ماذا كان يقول، لم تكن تتمكن من شراء حقيبة، وليس لديها أي مال الآن لتضعه بداخلها.

قالت: «لا... لا... طبعاً لا. انني متأكدة ان دنيز ستعيرني واحدة.»

اصر اللورد تفرتون: «عربتي قريبة جداً، ولن يكون هناك أي مشكلة بأخذك إلى المتجر، وفي الحقيقة انه على طريقنا إلى البيت.»

قالت ايلينا: «بل افضل العودة إلى البيت.»

كانت تفكر بحرارة بعذر تقدمه له لعدم ذهابها إلى المتجر.

بعدها وجدت الكلمات تقفز إلى شفتيها: «اعتقد ان دنيز قد عادت الآن إلى البيت، وأنا اتيت إلى النافورة... بدافع قوي.»

قال اللورد تفرتون: «علمت في البيت انكما خرجتما للغداء مع وسكوت فاعتقد ان دنيز ما زالت معه، وانني متأكد

انهما يدبران امرهما جيداً بدونك، وبطريقة عرضية، لما انت بمفردك؟»

«ذهبت دنيز مع الإيرل للتسوق.»

سأل اللورد تفرتون بتعجب: «التسوق؟ لما فعلا ذلك؟»

قالت ايلينا: «آه، لقد نسيت... انك لا تعلم. لكن حدث ذلك بسرعة، ففي الصباح بعد تناول الفطور، طلب الإيرل مقابلة دنيز والآن هما مخطوبان وعلى وشك الزواج قريباً.»

قال اللورد تفرتون: «هذه مفاجأة!»

فكر للحظة ثم اضاف: «اعتقد هذا هو السبب الذي جعلها متشوقة للقدوم إلى روما.»

علمت ايلينا انه ادراك غير مطمئن من قبله فقالت: «انهما سعيدان جداً ولقد اتيت إلى النافورة لاتمنى لهما ان تدوم سعادتهما طويلاً.»

قال اللورد تفرتون بسخرية:

«أمر جدير بالاطراء لعدم انانيتك، لكن بالتأكيد قد تمنيت لنفسك؟»

فكرت ايلينا، انه حاد الذكاء جداً.

قالت بسرعة: «انه لطف زائد منك ان تعيدني إلى البيت.»

«بالطبع سأفعل!»

ساعدها بالصعود إلى العربة، ثم جلس على مقعد إلى جانبها.

قفز الحوذي الذي كان ممسكاً بالحصانين إلى مقعد صغير من الخلف.

قاد اللورد تفرتون العربة بمهارة لكن بحذر بين حشد من العربات، التي كانت تتجمع على مدخل النافورة.

ما ان اصبحوا في شارع أوسع حتى قال: «إذن لقد تناولتما الغداء مع وسكوت... أين؟»

اجابت ايلينا: «عند جدته، الكونتيسة دواغير.»

قال اللورد تفرتون:

«اتذكرها، امرأة مميزة ولا شك انها كانت رائعة الجمال عندما كانت شابة.»

قالت ايلينا: «هذا ما فكرت به عندما رأيتها.»

اكمل كلامه قائلاً: «هل اكون مخطئاً إن قلت انك ستبقين جميلة لسنوات طويلة بعد؟ وستمضين فترة طويلة قبل ان تذيل الأيام جمالك كما هي الحياة عادة.»

نظرت إليه ايلينا بدهشة فقال: «لا شك انك تعلمين انك تبدين شابة جداً. اعتقد انك لن تمانعي باخباري كم هو عمرك؟»

اجابت ايلينا بسرعة:

«بالطبع لا، لقد سمعت دائماً انه أمر خاطىء جداً التحدث عن عمر المرأة»

قال اللورد تفرتون:

«ليس عندما تبدو شابة مثلك، يا سيدة لانغلي، في ذات الوقت، اخبرتني دنيز انك عشت زواجاً سعيداً لسنوات كثيرة.»

علمت ايلينا ان الحديث اصبح اكثر احراجاً. فقالت

بعد قليل: «كم تبدو روما رائعة! كل بيت في الشارع يبدو لوحة كاملة! كما ان النافورة اجمل بكثير مما كنت اتوقعها.»

قال وكأنه يتهمها:

«انت تحاولين تغيير الموضوع، اعتقد ان كل امرأة ترغب بالحديث عن نفسها.»

قالت ايلينا: «إذن، لا شك انني غير باقي النساء، لا رغبة لدي ابداً بالحديث عن نفسي، بل احب ان نتحدث عن روما.»

لمعت عينا اللورد تفرتون بفرح وهو يقود العربة بهدوء.

فكر لو انه مع أي امرأة غيرها لكانت فضلت ان يكون الحديث عنه.

وصل إلى شارع ضيق، فكان عليه ان يقود العربة بتأن وحذر لذلك بقي صامتاً.

عندما بدأ بالصعود إلى التلة نحو البيت قالت ايلينا:

«اتوقع ان تخبرك دنيز اننا سنذهب جميعاً لتناول العشاء الليلة في قصر آل بورغيز.»

رفع اللورد تفرتون حاجبيه بدهشة.

في الواقع، كان يسير على الطريق ذاهباً إلى قصر آل بورغيز بمفرده.

لكنه رأى السيدة لانغلي في عربة صغيرة تتجه نحو النافورة فقرر اللحاق بها اشباعاً لفضوله.

لقد تناول الغداء مع السفير البريطاني وكان غداء مملاً جداً.

بعدها صمم على الذهاب إلى قصر آل بورغيز، فلقد كان ينتظر الوقت المناسب ليتصل بالأميرة.

كانت ايلينا تشرح له ان حفلة خاصة قد نظمت على شرف الكونتيسة دواغير وتابعت:

«بينما كنا نتناول الغداء، ارسلت رسالة إلى الأميرة تخبرها فيها ان حفيدها قد خطب دنيز، مع ان الأمر سيبقى سراً ولن يذاع قبل عودتهما إلى انكلترا، لكنها كانت متأكدة ان الأميرة لن تمانع من حضور دنيز وانت وانا إلى الحفلة الليلة.»

قال اللورد تفرتون:

«انا متأكد ان الأميرة ستسعد بذلك، فهي مشهورة بانها مضيافة كريمة جداً.»

قالت ايلينا: «انني متأثرة جداً من فكرة رؤيتي لقصر آل بورغيز، كنت اعتقد انه لن تسنح لي الفرصة ابداً بذلك.»

قال اللورد تفرتون:

«حسناً، الآن سترى القصر عن كثب، ودعيني احذرك من ان النساء الايطاليات انيقات جداً، أو كما يقول الفرنسيون، شيك. لذلك ارتدي اجمل ثيابك واغلى ما لديك من مجوهرات وقبعات.»

علمت ايلينا انه يمازحها لكنها ابتسمت وقالت: «سأفعل جهدي لانضم إلى المجموعة، لكن لا تلمني اذا فشلت بذلك.»

اوقف اللورد تفرتون الحصانين امام مدخل البيت.

قالت ايلينا: «اشكرك لتوصيلي إلى البيت.»

خرجت من العربة وسارت نحو القاعة.

سألت الخادم على الباب اذا كانت الآنسة سدجويك قد عادت إلى البيت، فهز رأسه نافياً.

صعدت إلى غرفتها في الطابق العلوي.

فكرت انه من الخطأ ان تبقى بمفردها مع اللورد تفرتون في حال سألها مجدداً عن حقيبتها.

تساءلت: «كيف كنت بهذا الغباء؟»

انه أمر محرج لها ان تستعير واحدة من دنيز، كما ان الأمر اكثر سوءاً ان تعترف انها فقدت كل المال الذي بقي معها من دنيز.

لم تمكث في غرفتها طويلاً وما ان خلعت قبعتها حتى وصلت دنيز.

قالت: «لقد علمت انك عدت، آه يا ايلينا كانت نزهة جميلة جداً! وأنا متأكدة انه كان يوماً مميزاً لي ولهنري، واننا لن نخسر بعضنا ثانية.»

ابتسمت ايلينا: «انا متأكدة من ذلك.»

قالت دنيز:

«ان هنري في الطابق الأسفل يتحدث مع ابن عمي ماركوس وقد اخبرنا ان حقيبتك قد سرقت.»

قالت ايلينا: «آه، عزيزتي، انني آسفة جداً، لكنني تمنيت ان تعيشي انت وهنري سعيدين. اغمضت عيني وماكنت اتمنى لنفسي حتى اسرع ولد صغير ونشل حقيبتي وولى هارباً باقصى سرعة.»

قالت دنيز:

«حسناً، استطيع اعارتك واحدة غيرها. هل كان فيها مال كثير؟»

صمتت قليلاً قبل ان تتكلم وكانها تعتذر: «كل المال... الذي بقي من الذي اعطيتني اياه في انكلترا، ولحسن الحظ فلقد وفيت كل ديوني هناك.»

«حسناً، هذا أمر منطقي، لذلك اعتقد ان الصبي لم يحظ بكثير من المال.»

اعترفت ايلينا: «جنيهان انكليزيان وبعض النقود الايطالية التي اعطيتني اياها.»

ضحكت دنيز: «هذا هو كل شيء؟ ليس هناك من حاجة للأسف على مبلغ ضئيل هكذا.»

قالت ايلينا: «اشعر بالخجل من اخذ المال منك دائماً، بعد كل الذي فعلتيه لأجلي.»

اجابت دنيز: «لا تكوني سخيفة، انظري ماذا فعلت لأجلي. من دونك ما استطعت المجيء إلى روما ووجدت هنري! ولقد كنت ذكية جداً بتركي معه بمفردي، تماماً كما أردتك ان تفعلي.»

طمأنتها بعد قليل:

«توقفي عن القلق، سأنزل إلى الطابق الأرضي لأودع هنري، بعدها علينا ان نهيء ماذا سنرتدي الليلة. لا شك انها ستكون ليلة لا تنسى.»

اجابت ايلينا: «هذا ما قاله لي اللورد تفرتون.»

قالت دنيز: «انه محق، كما انه أمر مثير رؤية القصر. لكن

من اجل مصلحة هنري يجب ان لا نبدو كفتيات الريف عديمتي الخبرة.»

توقفت قليلاً قبل ان تتابع:

«آه، ايلينا، انني سعيدة جداً. انه رائع، وأريده ان يراني اجمل فتاة في الحفلة.»

اجابت ايلينا: «وهذا ما ستكونين عليه!»

«سأذهب واودع هنري، بعدها علينا ان نتفق ماذا سترتدين!»

خرجت مسرعة من الغرفة.

فكرت ايلينا انها لم ترها مرة اجمل أو اكثر فرحاً من الآن.

بسبب انها تريد ان تبدو أجمل ما تستطيع ذهبت إلى خزانتها ونظرت إلى الثياب المعلقة هناك.

الثياب التي كانت لدنيز هي الأجمل، لكن لم يتسن لها الوقت لترتيبهم لسيدة اكبر سناً.

اخيراً قررت ان ترتدي ثوباً لأمها والذي كان المفضل لديها.

لقد ارتدته في حفلة اقامها اللورد ليوتانت وكل من كان هناك اعجب به.

عندما عادت دنيز وافقتها الرأي انه اجمل فستان لحفلة مميزة.

اما هي فكانت تريد ان ترتدي الثوب الذي قدمت فيه إلى القصر الملكي في بلادها.

فلقد كان باهظ الثمن.

قالت دنيز: «لقد طلبت مصففة للشعر لتحضر إلى هنا،

كما علينا ان لا نتأخر والا انا متأكدة من أن ابن عمي ماركوس سينزعج كثيراً.»

آخيراً، وقبل ان تستحم، وصلت رزمة إلى غرفتها.

فكرت أولاً ان الخادم قد اخطء بتقديم الرزمة لها بدلاً من دنيز.

لكنه أصر على ان الرزمة لها.

بعد ان فتحتها وجدت انها تحتوي على حقيبة جذابة للغاية، وانها اجمل بكثير من تلك التي سرقت.

حدقت بها بدهشة حتى رأت بطاقة بداخلها.

كانت تحمل اسم اللورد تفرتون وكتب عليها هدية من روما.

ونظرت إلى الحقيبة بدهشة وفرح.

كيف ان اللورد تفرتون من بين كل الناس، اعطاها شيئاً غالياً وجميلاً هكذا؟

ومن شدة سعادتها ركضت من غرفتها إلى غرفة دنيز.

صرخت: «انظري، دنيز! انظري ماذا اعطاني قريبك! لا استطيع تصديق ذلك!»

اعجبت دنيز بالحقيبة وقالت: «السيد المغرور قد تنازل عن غروره واستبداده لمرة.»

قالت ايلينا: «اشعر بالاحراج، لأنه عندما اقترح علي ان اذهب لشراء حقيبة جديدة رفضت. كان ذلك لأنني لا املك ثمنها. لكن ربما اعتقد انني أرغب بهدية.»

قالت دنيز: «لا تقلقي لهذا الشأن، يستطيع ابن عمي ماركوس شراء مليون حقيبة اذا اراد ذلك، انه ثري، كما ارى

انه لم يجدك كريهة ومزعجة وبدأ يجعل الأمور صعبة علينا معاً.»

ضحكت قبل ان تجيب ايلينا وتابعت: «أنت تعلمين مثلي تماماً كم كان غاضباً من وجودنا معه، فاذا فكرت بالأمر، ليس باستطاعته ان يكون اكثر فظاظة في الرحلة، الا بحجزنا باقفاص حديدية.»

اجابت ايلينا: «لا شك انه تغير الآن، لكن اعتقد انه يجب ان ارفض قبول هدية غالية هكذا.»

«آه، يا ايلينا، لا تجلبي الصعوبات الآن، فانت لا تعلمين كيف سيتصرف ابن عمي ماركوس، وبما انه مسرور بوجودك، فلا تهتمي للأمر.»

اعترفت ايلينا: «لكن... اشعر بالحرج أو بالاحرى... بالخجل...»

صرخت دنيز برعب:

«هذا آخر ما يجب ان تشعري به، انت لا تدركين ان نساء لندن لا يعتقدن ان الحقيبة هدية كافية الا اذا كانت ممهورة باحرف اسمائهن بالألماس ومسكاتها من الذهب الخالص.»

قالت ايلينا: «لا اصدق ذلك.»

اجابت دنيز: «انها الحقيقة، فيتوقع منه بالنسبة إلى جميلات المجتمع ان يقدم لهن اغلى الهدايا لأنه فاحش الثراء، ولقد سمعت انه اهدى الكونتيسة غراي عقداً من اللؤلؤ توازي قيمته ميراث ملك.»

مما سمعته ايلينا، ادركت انه من السخافة منها ان تصنع فوضى من أجل حقيبة.

قالت دنيز:

«خذي ما يقدم لك، ولا تشكريه بامتنان، والا سيظن انك تتوددين إليه.»

كانت هذه نصيحة قيمة.

رغم ذلك عندما نزلت ايلينا إلى الطابق الأرضي قبل ان يغادروا إلى قصر آل بورغيز كانت تشعر انها متوترة.

ومع انها كانت تعلم ان دنيز ستضحك عليها، كانت لا تزال تشعر بالخجل.

عندما وصلت إلى المكتب كان اللورد تفرتون بمفرده هناك.

كان يبدو انيقاً وجذاباً جداً بثياب السهرة، وعلى معطفه عدة أوسمة كما كان هناك وساماً حول عنقه.

ما ان سارت نحوه حتى شعرت وكأنه يمتدحها بنظراته.

رأته ينظر إلى التاج على رأسها وإلى عقد الماس حول عنقها الذي يناسب القرطين والاسوارة التي تضعها أيضاً.

لم يتحرك وما كادت ان تصل إلى جانبه حتى شعرت وكأنها عاجزة عن الكلام.

«اريد ان... اشكرك... كثيراً. كان لطف... زائد منك... لاعطائي تلك الحقيبة الجميلة، وانني ساكون حذرة جداً... ان لا... اخسرها.»

لم تكن تعلم ان خديها قد توردتا من الخجل وعيناها تضطربان.

قال اللورد تفرتون يذكرها:

«لا مزيد من الامتنان! وانا اردت ان تغمضي عينيك، احترسي من اللصوص الصغار.»

وعدت ايلينا: «ساكون حذرة تماماً في المستقبل.»

قال: «هل استطيع القول انك تبدين جميلة جداً؟ ساكون فخوراً جداً بالسيدتين اللتين ساصطحبهما معي إلى قصر آل بورغيز.»

قالت ايلينا:

«لقد قلت الكلام المناسب، لأن دنيز تريد ان تكون مشعة لتؤثر في هنري.»

ابتسم اللورد تفرتون: «اعتقد ان هنري وسكوت متأثر بما فيه الكفاية، فمن الواضح انه مغرم بها كثيراً.»

قالت ايلينا: «وهذا ما يجب عليه ان يكون بالضبط.»

قال اللورد تفرتون: «هذا ما يتوقعه المرء في روما.»

لم تجب ايلينا فتابع القول: «وماذا عنك، سيدة لانغلي؟ هل تشعرين بالجو الرومنسي في روما الذي يجعل قلبك يخفق بسرعة؟»

حاولت ايلينا ان تقول ببرودة: «ربما هذا... سيحدث... لي... قبل... ان اغادر، لكن في الوقت الحاضر... لم اشاهد الا جزءاً قليلاً من روما، فهناك الكثير بعد... الذي ارغب في اكتشافه.»

وافقها اللورد تفرتون: «بالطبع، اذن ساحتفظ بسؤالي إلى وقت آخر.»

ما ان انهى كلمته حتى انضمت اليهما دنيز.

كانت تبدو جميلة جداً حتى شعرت ايلينا انه من الصعب ان يراها أحد ولا يشعر بجمالها المسيطر.

اسرع اللورد تفرتون معهما إلى العربة، واتجهوا جميعاً إلى قصر آل بورغيز.

حملتهم العربة عبر الشوارع التي بدت ملألئة بأضوائها المشعة.

فكرت ايلينا انها تجربة مثيرة جداً واكثر بكثير من كل ما مر معها حتى الآن.

سترى اشهر قصر في روما كلها مع مجموعته الرائعة من الكنوز التي طالما تحدثت عنها مع والدها.

كما انها ستتعرف على اشهر واهم الاشخاص الايطاليين.

وهذا ما ستتذكره دائماً عندما تعود إلى بلادها.

وبلحظة رأت بمخيلتها غرفة الجلوس في بيتها في الريف، والاثار الموجودة للمرايا والتحف التي ازيلت لتبيعها.

تذكرت المقاعد القديمة والكراسي الباهتة اللون والرف الذي ازيلت عنه كل التحف الجميلة.

اجبرت نفسها على نسيان كل تلك الأمور.

فالليلة ستغادر سندريلا إلى الحفلة الملكية.

فهي ليست شابة فقيرة عليها ان تعمل كي تعيل نفسها.

أو ان تحافظ على بيتها من عدم الانهيار.

لكي تلعب دورها جيداً عليها ان تصدق انها السيدة لانغلي الغنية، التي تملك المجوهرات الغالية والثياب الفاخرة.

ما ان فكرت بذلك حتى رأت عينا اللورد تفرتون تنظران اليها بثبات، فشعرت بالخوف.

توقفت الخيول خارج قصر آل بورغيز.

كان عليهم الانتظار حتى ترجل بعض الضيوف من عربات أخرى.

كانت هناك انوار متوهجة لرؤية طريقهم على الدرج المغطى بالسجاد الأحمر.

ما ان وصلوا إلى القاعة الفسيحة حيث سيتم استقبالهم شعرت ايلينا انها ستكاد تفقد انفاسها.

لم تر في حياتها شيء اجمل من السقف المزين بالرسوم الملونة. اما الجدران فقد كانت مزينة بطريقة لم تر أو تتخيل مثلها في حياتها.

بعدها استقبلوا من قبل الأمير والأميرة بورغيز.

معالم الثراء والمجوهرات المشرقة وثياب الخدم الملونة، كل شيء حولها جعل قصة أميرة الاحلام كما تتمناها.

اعلن عن وصول ضيوف جدد، وما ان ساروا قليلاً حتى اقترب شاب ايطالي وسيم ماداً يده إلى اللورد تفرتون.

قال: «كيف حالك، ايها اللورد؟ يسعدني انك في روما ثانية.»

أجاب اللورد تفرتون: «يسعدني جداً وجودي هنا، أيها الأمير.»

نظر الايطالي نحو ايلينا، فقال اللورد تفرتون: «السيدة لانغلي، اقدم لك الأمير البرتو بورغيز!»

مدمت ايلينا يدها لمصافحته.

لدهشتها امسك الأمير الايطالي يدها وقال وهو يتأملها:

«أنا اعرف الآن أن هذه الأمسية ستكون مهمة جداً، لأنني تعرفت عليك.»

الفصل الخامس

كانت غرفة الطعام جميلة.

نظرت ايلينا إلى الطاولة الكبيرة التي تتسع لاربعين شخصاً.

ادركت انها ستجلس في مكان بعيد عن دنيز، وجلست الكونتيسة دواغير إلى يمين الأمير كما جرت العادة.

اما هي فقد كان موقعها إلى يساره.

من الناحية المقابلة للطاولة جلس اللورد تفرتون إلى جانب الأميرة كما جلس الإيرل إلى يمينها. وبالطبع جلست دنيز قربه.

ذكرت ايلينا ان معظم المدعويين هم من المقربين للكونتيسة غراي بسبب انهم متقدمين في السن.

اخبرها الامير البرتو، الذي كان يجلس إلى جانبها، ان عدداً كبيراً من المدعوين سيأتي لاحقاً.

قال: «لقد فكرنا، بما ان الحفلة على شرف الكونتيسة سكوت، علينا احضار مغنيين من الاوبرا، مع العلم ان اختي شابة وتريد ان تفرح.»

ضحكت ايلينا وقالت: «انني متأكدة أي نوع من الترفيه سيكون مفرحاً، فقصرك جميل جداً. فالذي تشعر به لا نستطيع التعبير عنه الا بالموسيقى.»

قال الأمير: «اتمنى فقط ان اكون عازفاً بارعاً لأعبر عما نشعره نحوك.»

للحظة نظرت إليه متعجبة، بعدها ادركت انه يجاملها.

بالنسبة إليها كانت تجربة جديدة، لكن كان عليها توقع ذلك، فهي امرأة ناضجة وتتصرف كما تفعل الجميلات المترفات.

رأت أن الأميرة تتصرف بود ظاهر مع اللورد تفرتون في الطرف الآخر من الطاولة.

لم تكن متأكدة تماماً اذا كان هو من يجاملها أم هي التي تفعل ذلك.

اما دنيز وهنري فلم يكن يشغلهما شيء غير النظر إلى بعضهما وكأنه لا يوجد غيرهما في القاعة.

ما ان نظرت بامعان إلى المدعوين والمدعوات، رأت كما حذرها اللورد تفرتون بأن السيدات الايطاليات جميلات وانيقات جداً.

قالت ايلينا لنفسها: عليّ ان اسامر قليلاً، لكن لا اعلم من اين ابدأ.

عوضاً عن ذلك وجدت نفسها تحمر خجلاً من الاطراءات التي كان يمطرها بها الأمير البرتو.

قال: «انك رائعة الجمال، رائعة بشكل فائق، تماماً كالوردة الانكليزية.»

اجابته ايلينا:

«انه تعبير شائع، لكن كايطالي عليك ان تفكر بشيء مميز اكثر.»

حاولت ان تبدو واثقة من نفسها كما تفعل جميلات لندن.

لكن الأمير قال:

«لدي كثير من الأقوال المميزة التي ارغب بقولها لكن ليس هنا وعلى هذه الطاولة.»

مع انه بعد مرور قليل من الوقت اصبح اكثر جرأة.

اصبحت ايلينا متشوقة لتغير الكلام الذي يدور كله عنها.

سألت عن المنحوتة الشهيرة للأميرة بولين بورغيز اذا كان مازال موجوداً في القصر، وقد نحته الفنان الشهير انطونيو كارفلو.

اجاب الأمير: «سأريك اياه عندما ننتهي من العشاء.»

قالت ايلينا: «لقد سمعت دائماً انه من اجمل واشهر المنحوتات في العالم اجمع.»

علق الامير: «كانت ناصعة البياض ولذلك كان كل الخدم في قصرها من العبيد لترى انعكاس لون بشرتها بشكل افضل.»

هذا أمر لم تسمع به ايلينا من قبل، لكن قبل ان تتمكن من قول أي شيء قال الأمير هامساً: «اعتقد ان لون بشرتك هو الافضل.»

لأنها لم تتمكن من النظر إلى تعابير عينيه احمرت خجلاً وادارت بوجهها.

عندها ادركت ان اللورد تفرتون يراقبها من الطرف الآخر للمائدة.

فكرت... ومع انها لم تكن متأكدة من الأمر... انه ينظر إليها بازدراء.

عندما انتهت المأدبة الشهية، غادر النساء والرجال غرفة الطعام. ثم دخلوا إلى قاعة كبيرة ومزدانة بصور جميلة.

كان هناك فرقة موسيقية تعزف الحاناً رائعة.

كان الأمير جالساً بقربها يكلمها، ولأنها كانت متوترة فقد صعب عليها متابعة كلامه.

قال: «أنت جميلة! فائقة الجمال! حتى اللوحات النادرة تنزوي امام جمالك وروعتك!»

قالت ايلينا لنفسها انه بلا شك معتاد على مجاملة كل من يراه، لذلك لم تجب بل نظرت حولها في الغرفة لترى باقي المدعويين.

رأت اللورد تفرتون يحادث الأميرة بورغيز، وكانت هي تنظر إليه بتودد.

تساءلت ايلينا اذا كانا صديقين قديمين.

بعدها شعرت وكأنها صدمت من تفكيرها على هذا النحو. كيف تفكر بمثل هذه الأمور؟

هذه الافكار لم تخطر ببالها قط عندما كانت تعيش بسلام في بيتها الريفي.

قالت لنفسها: يجب ان اتصرف كما تتوقع والدتي تماماً.

لكن كان يصعب عليها ذلك من خلال كلام الود الذي تسمعه من الامير.

قالت بثبات: «الآن اريد ان أرى اللوحات عن كثب.»

سارت على طول الغرفة حتى وصلت إلى لوحة جميلة لمادونا بجانبها طفل.

رسمت هذه اللوحة بواسطة الرسام كريدي وكانت ترغب بالتحدث عنها.

عوضاً عن ذلك، قال:

«هذه من افضل الصور المحببة لدي، والآن علمت لماذا دائماً تجذبني.»

سألت ايلينا بحذر: «لماذا؟»

قال: «لأن مادونا تشبهك قليلاً، لكن بالحقيقة انت اجمل بكثير مما رسم كريدي، منذ الآن وصاعداً لن اشعر بالراحة عندما انظر اليها، ولو أنها تذكرني بك، لكنها ليست انت.»

لم تعلم ايلينا بما تجيب.

شعرت بالراحة عندما جلس الايرل هنري إلى جانبها، فيما جلست دنيز قرب امير بورغيز.

بينما كانا يتنقلان في الغرفة قال: «اخبرتني دنيز انك كنت لطيفة جداً بقبولك اصطحابها معك، كما انني ممتن لك جداً.»

قالت ايلينا: «لقد اسعدتني وجودها معي.» تذكرت في الوقت المناسب ان عليها أن تكون أمها، وليس نفسها.

«اخبرتني أيضاً دنيز ان اللورد تفرتون لم يبد أي اهتمام بك في الرحلة، كما انه سافر بمفرده في مقصورته إلى دوفر كذلك عندما قطع القناة.»

شعرت انها بطريقة ما يجب ان تجد له عذراً بعدما تصرف معها بلطف وقدم لها هدية.

قالت: «استطيع ان افهم انه امر مضجر البقاء مع سيدتين.»

قال الإيرل: «بالنسبة إلى دنيز تراه ساحراً بغرابة تجاه النساء، لكن جدتي اخبرتني بعد رحيلكما اليوم بعد الظهر

انه تعرض إلى نكسة عاطفية عندما كان شاباً. وهذا ربما يفسر سبب تصرفه.»

شعرت ايلينا ان الموضوع يثير اهتمامها.

سالت: «نكسة عاطفية؟ ماذا حدث له؟»

«حسب ما اخبرتني جدتي، كانت هناك فتاة جميلة جداً وكان والداي اللورد تفرتون يرغبان بتزويجه منها. وقد وقع بغرامها بقوة، وعندما تقرب منها محاولاً طلب يدها ارتكب خطأً فادحاً.»

سالت ايلينا: «ماذا تعني بذلك؟»

«لقد قبلت الزواج منه، ولكن لحسن الحظ، وقبل ان يتم اعلان الخطوبة اكتشف الحقيقة.»

«وما هي هذه الحقيقة؟»

«كانت تريد الزواج منه فقط لأجل ماله ولأن والدها الذي كان رجلاً مهماً، كان واقعاً في ورطة كبيرة من الديون.»

اضاف بعد قليل: «في الحقيقة، كانت الفتاة مغرمة بشخص آخر.»

لم تعلق ايلينا على الموضوع. أدركت انها الآن تفهم كل شيء.

سخرية اللورد تفرتون والجو المتغطرس الذي يفرضه على النساء كل ذلك يعود إلى ان امرأة جرحته.

كانت متاكدة من ان هذه الحادثة اصابت كبرياءه في الصميم لأنه مغرور بنفسه.

ولهذا السبب هو عابث، ولا يشعر بالأسى عندما يترك أي امرأة ولو علم بحزنها وبلوعتها.

رغم كل ما علمته لم تقل ولا كلمة للإيرل.

كان أمراً مريحاً عندما غير الموضوع واخذ يتكلم عن تميز.

بعد ذلك تحادثت مع مضيف الدعوة.

شعرت انه اكبر من زوجته وانه بطريقة ما ممل.

كان من الواضح انه لا يتمتع بالسهرة كالباقين.

حاولت التكلم معه عن اللوحات الشهيرة المعلقة على الجدران، لكنه رد باقتضاب.

وبعدما ذكرت الحديقة، شعرت بنوع من الاهتمام من محدثها اكثر من ذي قبل.

واخيراً، علمت انه اضاف إلى معرضه بعض الغزلان، وهو مهتم الآن بانشاء حديقة خاصة للحيوانات ولقد زودها بالحيوانات المفترسة كالنمور والأسود.

هذا ما لم تتوقعه ايلينا في روما، فكرت انها معلومات جديدة تضيفها لذكرياتها عندما تعود.

بعد قليل عاد الأمير البرتو إلى جانبها وهو يقول: «لقد انهيت واجباتي نحو ضيوفي، والآن استطيع ان امتع نفسي بقربك.»

بالكاد تستطيع ايلينا مجاملته في هذا الكلام.

اضاف بعد قليل: «اريد ان تشاهدي الحديقة.»

اجابت ايلينا:

«كنت اتكلم عنها مع أبيك واعتقد انه أمر مثير ان يوجد حيوانات مفترسة في القصر.»

اجاب الأمير البرتو: «أرى انه عمل لا طائل منه، مع العلم ان الحديقة جميلة جداً، واعلم انك ستسعدين برؤيتها.»

خرجا من باب كبير إلى الحديقة فرأت قسماً كبيراً منها مزداناً بالانوار اما من تحت اشجار التنوب والسرو أو من الاعمدة التي في الحديقة.

كانت النافورة ترمي مياهها الملونة في الهواء بسبب وجود عدة اضواء في قعرها.

ضمت يديها إلى بعضهما وقالت: «كم هو رائع هذا المنظر!»

قال الأمير بصوت عميق وهو ينظر اليها: «رائع جداً!»

نزلت بعض الدرجات لتنظر إلى النافورة عن قرب ووجدت ان طريقة تصميمها رائعة إلى حد لا يوصف.

قال الأمير البرتو: «هناك واحدة اجمل بعيدة قليلاً من هنا.»

سارا مسافة بعيدة عن المنزل.

وقفت ايلينا لتنظر إلى نافورة مياه رائعة، حين ادركت فجاة ان الأمير يحاول ان يمسك بيدها.

قالت بسرعة محاولة الابتعاد عنه: «لا... لا... ارجوك!»

«كيف استطيع منع نفسي حيث اجدك فاتنة بشكل غير معقول.»

قالت ايلينا بصوت مرتجف من الخوف: «علي العودة إلى القصر.»

ادركت انها بعيدة عن القصر اكثر بكثير مما تظن واغصان الاشجار تطوقهما.

قالت: «لا... لا! كيف تستطيع التصرف هكذا... ونحن لم نتعارف الا الآن؟»

أجاب الأمير:

«احسست بأني اعرفك منذ زمن طويل، وانني ابحث عنك. والآن لقد وجدتك!»

كانت ايلينا على وشك ان تصرخ، عندما سمعت صوتاً اجش يقول: «اعتقد يا سيدة لانتقلي انه قد حان الوقت كي تكلميني!»

للحظة وقف الأمير وايلينا جامدين.

ركضت نحو اللورد تفرتون الذي كان يقف إلى جانب شجرة السرور.

تلعثمت وهي تقول: «اخشى... انني... نسيت ذلك.»

اقترح اللورد تفرتون: «اذن هل نعود إلى القاعة؟»

«اجل... اجل... بالطبع.»

لم تنظر إلى الأمير الذي كان يقف خلف النافورة.

وبعد ان تأكدت انه لم يعد بامكانه ان يسمعها قالت بصوت خفيف ومتردد:

«شكراً لك... شكراً... لك! لقد كنت... خائفة ولا ادري... ماذا افعل.»

سأل اللورد تفرتون بقسوة: «بالطبع تعلمين انه من الخطأ على المرأة ان تخرج بمفردها إلى الحديقة مع رجل؟»

«لم افكر... بالأمر. لقد... كنت انظر إلى النافورة... بعدها.»

توقفت عن الكلام.

فجاة تذكرت انه ليس هناك من سبب يدعوها لتقديم أي عذر له.

لم يتكلم ولم يحاول ان يسألها شيئاً.

سارا معاً حتى وصلا إلى القصر.

وبدلاً من ان يدخلا من الباب الذي خرجت منه هي والامير، سار معها إلى باب جانبي لديه رواق على مدخله.

ما ان وصلا إليه حتى اصبحا في الظل.

انتظرت ايلينا من اللورد تفرتون ان يفتح الباب ولقد كانت قلقة ومتوترة.

بعدها وبصورة غير متوقعة قال: «حاولي التصرف بطريقة افضل قبل ان نغادر.»

لهجته كانت مليئة بالقسوة. نظرت ايلينا إليه متعجبة من دون ان تنطق بكلمة.

بينما هي ما زالت مندهشة، فتح الباب ودخل بمفرده تاركاً اياها واقفة في الرواق منذهلة.

شعرت بالخلاص بعد نصف ساعة عندما اعلنت الكونتيسة دواغير انه حان وقت المغادرة.

قال هنري ودنيز انهما جاهزان للذهاب أيضاً.

غادرت معهما ومع الكونتيسة دواغير.

لكن ما ان وصلت إلى البيت، حتى صعدت إلى الطابق العلوي ليبقيا بمفردهما في المكتب.

لم يعلم احد أي خبر عن اللورد تفرتون.

اقترح هنري ان ليس هناك من حاجة لانتظاره.

قال للكونتيسة: «سأصطحبك إلى البيت، يا جدتي، بعدها سأوصل دنيز والسيدة لانغلي إلى مكان اقامتهما.»

اجابت الكونتيسة دواغير: «شكراً، يا صغيري العزيز»

الآن عندما وصلت ايلينا إلى غرفتها حدقت بنفسها في المرآة.

كانت وكأنها ترى نفسها للمرة الأولى.

كيف حدث ان اللورد تفرتون انقذها؟

عرفت انه بذلك يريها بطريقته الحاذقة المعهودة كم كانت رخيصة.

كان تصرفه بالواقع عقاباً عن تصرفها السيء.

لكن لماذا عليه ان يكون غاضباً منها؟

فهو لا يهتم بأمرها من أي ناحية، ماعدا أنها وصيفة لابنة عمه الذي ابدى بوضوح انه لا يهتم لأمرها.

كان الأمر لغزاً مميزاً ظل يدور في رأسها.

ويعود إلى ذات المحور.

مع انه كان غاضباً، كانت تجربة شعرت انها لن تنساها بتاتاً.

الآن وهي تفكر بالأمر ادركت انها صدمت من الدهشة، وبعدها وقبل ان يبتعد عنها شعرت باحساس غامض في صدرها.

شعور رائع كانبثاق المياه من النافورة، احساس لم تشعر به من قبل.

قالت لنفسها: اعتقد انه ربما صدم بتصرفاتي.

فهي لا ترغب بأن يحتقرها لطريقة تصرفها.

سألت صورتها المعكوسة في المرآة: لماذا لا يفهم انني لم اتعمد ان اتصرف هكذا؟

بعدها ادركت الجواب.

مثل الأمير البرتو، افترض اللورد تفرتون انها ناضجة كفاية ومعتادة على هذه الأمور.

سألت نفسها بحزن: كيف عليه ان يعلم، انني فتاة ساذجة

اعيش في الريف، ولم يكن لي أي تجربة من قبل، وليس لي اصدقاء؟

اما الآن فهي تعرف انها على خطأ.

لكن ليس من قبل رجل منجذب لها ويحبها بل من قبل اللورد تفرتون الذي يحتقرها.

• • •

ذهبت ايلينا إلى سريرها والدموع على خديها.

كان يبدو من الغباء ان تزعج نفسها بالبكاء.

لكن بطريقة ما، المساء الذي بدأ رائعاً انتهى بمصيبة.

بقيت تقول لنفسها ليس هناك من داعٍ لكل هذا الانزعاج.

فالامر لا يعنيها كيف يفكر اللورد تفرتون بطريقة أو بأخرى.

وعادت افكارها إلى القصر، حيث تركها امام عتبة الباب.

وكانها شيء يجب ان يرمى خارجاً.

عندما دخلت إلى القاعة الكبيرة لم يكن له أي أثر.

بعدها عندما أرادت الكونتيسة الرحيل، لم تكن الأميرة موجودة.

ربما كان كل ذلك صدفة.

مع انها، اذا تذكرت كيف كانت الأميرة تنظر إلى اللورد تفرتون خلال العشاء، فلا شك انهما كانا معاً عندما غادرت.

لا بد انهما في مكان ما في قصرها الجميل.

اللوحات الرائعة والمجموعة الواسعة من الكنوز كل ذلك يطفي جمالاً رائعاً لا يوصف.

لم تفهم كل الاطراءات التي قالها الأمير البرتو.

فكرت، انه بلا شك تفاجأ من طريقة تصرفها، الذي بدا كتصرف بنات المدارس اكثر مما هو تصرف سيدة.

كانت تعلم بوضوح ان الاصباغ على وجهها واحمر الشفاه على شفتيها يظهرها بعكس ما هي عليه.

علمت ان دنيز كانت محقة.

فهي لم تبد فقط اكبر بل أيضاً كامرأة لها تجارب ونجاح كبيرين في المجتمع.

في عيني اللورد تفرتون كانت كأي امرأة يعرفها بها قصر مارلبورغ.

قالت بمرارة:

«خلف هذا المظهر، مازلت فتاة مراهقة لا ادري كيف تصرف.»

لم تأت دنيز لتقول لها: عمت مساء.

بقيت تبكي حتى نامت مع انها كانت تعلم ان لا فائدة من البكاء.

• • •

عندما اطل الصباح وبخت ايلينا نفسها على سخافتها.

انت الآن في روما، لديك الفرصة لرؤية كل ما هو جميل، ومع ذلك تجعلين من نفسك غبية.

كما ذكرت نفسها ان ليس هناك من سبب يجعلها تهتم لامر اللورد تفرتون.

فليس هناك ما يعنيه بما تفعله أو لا تفعله.

واقنعت نفسها بالقول:

«انني لست مراهقة، انا أرملة، وعلي ان اكف عن التصرف كفتاة خائفة.»

عندما نزلت مؤخراً إلى غرفة الطعام لتناول الفطور، شعرت بالراحة لعدم وجود احد هناك.

ما ان انهت قهوتها حتى وصلت دنيز. قالت: «كم كانت أمسية رائعة! رائعة بالفعل. شكراً لك، يا عزيزتي ايلينا، لأنك تركتني بمفردي مع هنري، فلم يغادر حتى ساعة متأخرة.»

قالت ايلينا: «ساعة متأخرة؟ وماذا عن اللورد تفرتون؟»

اجابت دنيز:

«لم يحضر ابن عمي ماركوس، واعتقد انه كان سعيداً حيث بقي والا عاد باكراً.»

قالت ايلينا بصوت جاف: «اجل... اعتقد... انه كذلك.»

قالت دنيز: «سيتصل بي هنري عند الحادية عشرة. انت لن تمانعي، يا عزيزتي، اذا خرجنا بمفردنا، اليس كذلك؟»

اجابت ايلينا: «لا، بالطبع، لا، لكنني آمل ان لا يشك احد بالأمر.»

قالت دنيز بحماس: «لن يرانا احد، سنذهب بعيداً عن العاصمة روما إلى مكان في الريف اكتشفه هنري ويقول انه يقدم طعاماً شهياً للغاية.» ضحكت قليلاً وتابعت «اتمنى ان اتذوق هذا الطعام بسرعة، لأنني في الواقع لا افكر الا به.»

سألت ايلينا بعصبية: «هل تعتقدين... ان ابن عمك ماركوس سيعتبر ان تصرفي خاطىء ان تركتك تذهبين بمفردك؟»

«فكر هنري بذلك، وعندما سيأتي سيقول انه سيأخذني إلى بيت جدته... هذا اذا كان ابن عمي مهتماً ليسأل هذا السؤال.»

ابعدت دنيز صحنها وتابعت: «افضل ما نستطيع فعله هو ان نتجنبه، سأصعد الآن إلى غرفتي كي احضر نفسي، وما ان يصل هنري حتى اقفز إلى أي نوع من العربات قد احضرها، وسنذهب بعيداً.»

بدا وكأن دنيز قد نظمت كل شيء.

فكرت ايلينا انه من الخطأ ان تناقشها بالأمر.

تمنت فحسب، لأنها تكره الكذب، ان لا يسألها اللورد تفرتون أي سؤال.

اخيراً بعدما انتهت من تناول فطورها عادت إلى غرفتها.

ارتدت دنيز قبعتها واصبحت جاهزة بانتظار هنري.

قالت: «لا تنسي، هناك اماكن كثيرة عليك رؤيتها في روما، وهنا يوجد بعض المال، عزيزتي ايلينا، وانا متأكدة انك بحاجة له.»

على مضض وهي تفكر انه من الغباء ان تجعل من الأمر حادثة، اخذته وتمتمت:

«انت... لطيفة جداً وكريمة.»

اجابت دنيز:

«الصنيع الذي قمت به لا يوازى بالمال حتى ولا بمليون باوند، كما ان هنري ممتن لك كثيراً.»

ضحكت قبل ان تضيف: «هل تستطيعين تخيل ماذا سيحدث لو ان معي احدى قريباتي المخيفات؟ كانت ستقرر

انه من المحال علينا التكلم مع بعضنا البعض الا بحضورها.»

ضحكت ايلينا أيضاً وقالت: «انا متأكدة انك تبالغين الآن.»

قالت دنيز:

«انت لا تعلمين كم هن مملات ومتجهمات، كما ان جدة هنري كذلك، مهما فعلت اليوم، لا تقتربي منها والا ستسالك لماذا انت لست معي.»

وعدت ايلينا: «سأبقى بعيدة عن انظارها.»

وصل خادم ليعلن عن قدوم هنري إلى المنزل.

صرخت دنيز من الفرح. التقطت حقيبتها ونزلت الدرج مسرعة حتى قبل ان تودع ايلينا.

ثم انطلقا فوراً.

لحقت ايلينا بدنيز إلى الطابق الأرضي، واخذت تتساءل ماذا ستفعل اليوم، بعد ذهاب دنيز.

كان هناك الكثير من الامكنة التي ترغب برؤيتها في روما ولكن لم يكن لديها أي فكرة من اين تبدأ.

علمت ان هناك كتاب . دليل في المكتب تركته دنيز هناك.

وصلت إلى المكتب ووجدت الكتاب وما ان همت بالعودة إلى الطابق العلوي حتى دخل اللورد تفرتون.

قال: «صباح الخير، سيدة لانغلي! اين هي ابنة عمي؟»

مضت فترة قصيرة قبل ان تجبر نفسها على الاجابة.

«لقد ذهبت مع هنري لرؤية الكونتيسة دواغير.»

قال اللورد تفرتون:

«لقد رأيتهما ينطلقان في العربة... في اتجاه مخالف، لكن لا يهم.»

قالت لنفسها: سيحاول النيل مني ثانية!

شعرت انه من الافضل لها ان لا تقول شيئاً، واتجهت نحو الباب.

سأل اللورد تفرتون:

«وانت ماذا ستفعلين هذا اليوم؟»

اجابت ايلينا: «اتيت إلى هنا لاحصل على كتاب الدليل السياحي.»

قال اللورد تفرتون:

«لدي فكرة، من اهم الأماكن التي عليك رؤيتها قبل العودة هو مدرج روما الشهير.»

«أجل، بالطبع.»

قال اللورد تفرتون: «حسناً، بما انني انهيت عملي لهذا الصباح، دعيني اخذك إلى هناك.»

نظرت ايلينا إليه مندهشة. وسألته: «هل تعني... ذلك حقاً؟ سيكون الأمر مجرد ازعاج لك، وانني متأكدة انك ذهبت إلى هناك ألف مرة.»

قال: «اذن ستكون هذه المرة الألف وواحد! حضري نفسك وسنغادر عندما تصبحين جاهزة.»

وعدت ايلينا: «سأصبح جاهزة بعد دقيقة.»

خرجت من الغرفة، وكل الاحباط الذي كانت تشعر به تبخر.

شعرت فجأة ان اللورد تفرتون لم يعد غاضباً منها.

ولقد عرض عليها مرافقته إلى المدرج.

لا رغبة لديها البتة بالذهاب إلى هناك بمفردها. فهذا أمر رائع ان تذهب بصحبته.

وفكرت، انه ربما يعتذر عن طريقة تصرفه البارحة.

بقيت جامدة للحظة، بعدها قالت لنفسها ما مضى قد مضى.

فما الغاية من القلق عليه؟

قالت وهي تنظر إلى وجهها في المرآة: «انه سيرافقني إلى المدرج!»

بعدها ابتسمت وشعرت ان الشمس تشع بفرح اكثر مما كانت تشعر بها في حياتها كلها.

الفصل السادس

سارا داخل المدرج ووقفا في احد الاروقة.

بهدوء أخذ اللورد تفرتون يشرح لها كيف كان المدرج عندما بني للمرة الأولى. وصف لها المشاهد بطريقة حية مع الجماهير المحتشدة التي كان تصل إلى أكثر من ثمانين الف متفرج.

كانوا يجلسون نسبة إلى مراكزهم في المجتمع، بينما كانت النساء تجلسن في اروقة خاصة لهن.

في ميدان التنافس كان الأسرى يتحاربون حتى الموت.

كان الناس يرمون في الحلبة ضد الحيوانات المفترسة، أو الحيوانات ضد بعضهم البعض.

قد تكون الأمور دامية فقط من أجل معركة كاذبة.

وصف لها كيف كانت الحيوانات ترفع عالياً في الاقفاص فوق الميدان وكيف أن السياط التي كانت تستعمل قد وجدت.

جعل ايلينا ترتجف من فكرة الحشود الشرسة التي كانت تراقب بفرح الوحشية والدماء.

رائحة الدماء كانت تزيد من شراستهم.

صراخ وعويل المتفرجين كان يطغى على صراخ الضحايا وزئير الحيوانات.

لم تكن تستطيع رؤية كل ذلك، لكنها شعرت بهم بقوة.

فجأة شعرت بضعف وكأن المشهد يحدث فعلاً أمامها.

لا شك أنها أصبحت شاحبة جداً، لأن اللورد تفرتون توقف عن الكلام، وساعدها على النزول على السلم والخروج من المدرج.

كانت عربته بانتظارهما خارجاً.

جلست على المقعد براحة ثم جلس إلى جانبها وأمسك باللجام.

سارا لفترة وهما صامتان.

بعدها قالت ايلينا بصوت منخفض:

«أنا... أنا آسفة.»

أجاب اللورد تفرتون:

«ليس هناك من داعي للأسف، هذا ما حدث معي عندما زرت المدرج للمرة الأولى.»

نظرت إليه متفاجئة.

فهي لم تتخيل قط أن يكون لديه ذات الشعور مثلها.

وانه سينزعج من فكرة ان الانسان والحيوان قد يعذب حتى الموت.

رغبت في أن تساله أن يخبرها المزيد، لكن في تلك اللحظة كانت تشعر بالضعف.

لذلك لم تقل شيئاً.

سارا حتى وصلا إلى مطعم جميل.

قال اللورد تفرتون: «أعتقد اننا سنتناول الغداء هنا. لقد تأكدت عندما كنت هنا سابقاً أنه يقدم أفضل أنواع السمك في روما كلها.»

شعرت ايلينا أن ضعفها ولى. فكرت أنه أمر رائع أن تتناول الغداء مع اللورد تفرتون.

ربما سيتحدث معها باهتمام كما فعل عندما حدثها عن المدرج.

كان المطعم صغيراً، والاسماك تسبح في حوض خاص بها يستطيع الزبون أن يختار منها ما يريد أكله.

لم يسأل اللورد تفرتون ايلينا عن الأنواع التي تفضلها بل اختار ما يراه الأفضل.

بعدها جلسا في زاوية مريحة بجانب نافذة تطل على باحة خلفية.

كانت الباحة مليئة بالزهور والشجيرات الصغيرة التي كانت تتلألأ تحت أشعة الشمس.

شعرت ايلينا أنها شفيت تماماً من دوارها وشحوبها، لكن اللورد تفرتون أصر على أن تشرب كوباً من عصير الفاكهة الطازج.

عندما انتهيت من شربه قالت:

«لقد... كان أمراً... سخيفاً... مني ان أزعجك... أتمنى أن تعذرني.»

أجاب: «انني مهتم ان لم أقل أشعر بالفضول لأعرف كيف شعرت تماماً مثلي. لقد أخذت عدداً كبيراً من الناس في أوقات مختلفة لرؤية المدرج، لكن ردة فعلهم كانت مختلفة.»

بعدها بدأ بالتحدث عن أمور مختلفة ولم يعد قط إلى ذكر المدرج.

عندما انتهيا من تناول الطعام سحب ساعته الذهبية من جيب معطفه. وقال ببعض الخشونة:

«علي أن أعيدك إلى البيت، لدي موعد مع الملك وعلي أن لا أتأخر أبداً.»

«لا... بالطبع لا.»

التقطت ايلينا الحقيبة التي أهداها اياها وخرجت من المطعم.

شكرت صاحب المطعم على الطعام الشهي عندما ودعهما وهما خارجين على الطريق.

قاد اللورد تفرتون الخيول بسرعة أكبر مما قادها في الصباح.

عندما وصلا إلى البيت قالت ايلينا:

«شكراً... لك، شكراً كثيراً لكونك لطيف جداً... لقد تمتعت كثيراً بالغداء.»

لم يجب اللورد تفرتون، بل ابتسم لها فحسب، رفع قبعته وغادر كانه خائف أن يتأخر.

دخلت ايلينا إلى البيت وهي تفكر أن دنيز بلا شك قد عادت.

لكن لم تظهر قبل الخامسة بعد الظهر.

بعدها دخلت مسرعة لتقول انها أمضت وقتاً رائعاً مع هنري، وأنه يريد أن يصطحبها إلى العشاء في مكان رائع.

قالت دنيز:

«هناك مكان يعرفه حيث لن يرانا فيه أحد يعرفنا، سنذهب إلى هناك لنتناول العشاء ونتكلم، أنت لا تمانعين، يا عزيزتي؟»

«لا... بالطبع لا.»

«أشعر بالاسى لأنني أتركك بمفردك، لكن ربما ابن عمي ماركوس سيتناول العشاء في المنزل الليلة.»

قالت ايلينا: «لا تقلقي بشأني، هناك العديد من الكتب التي أرغب بقراءتها، وأنه أمر خاطىء أن يعرف ابن عمك أنني لست معك.»

وافقتها دنيز:

«أجل بالطبع، انني متأكدة أنه يعتقد أنه أمر يستحق العقاب أن أكون أنا وهنري بمفردنا.»

لذلك ايلينا لم تغادر غرفتها، بل جلست على الاريكة براحة وفتحت كتاباً كانت قد أحضرته معها من المكتبة.

فكرت انه عندما يعود اللورد تفرتون سيعلمها ان كان سيرغب بالعشاء في المنزل.

بعدها ستتظاهر أن دنيز ذهبت للعشاء مع هنري عند جدته.

لم يدخل أحد إلى غرفتها حتى قاربت الساعة الثامنة. بعدها سمعت طرقاً على الباب.

قالت: «أدخل.» وظهر خادم على الباب، كان يتكلم بلكنة ايطالية.

قال: «سيرسل سيدي عربة إلى حضرتك عند التاسعة تماماً.»

اتسعت عينا ايلينا من الفرح وقفزت من على الأريكة. سيصطحبها اللورد تفرتون للسهرة والعشاء.

اعتقدت انه إذا كان سيرسل لها عربة يعني أنه لن يستطيع الحضور إلا في اللحظة الأخيرة.

بسرعة رنت الجرس للخادمة.

بدلاً من المرأة الايطالية التي كانت تخدمها، ردت خادمة دنيز على النداء.

قالت ايلينا: «انني ذاهبة للعشاء مع اللورد تفرتون. أرجوك ساعديني في تصفيف شعري وارتداء ثوب جديد.»

ابتسمت الخادمة جونز وقالت: «يسعدني خروجك الليلة يا سيدتي. فأمر مؤسف أن تكوني في روما وتبقي في البيت بمفردك.»

وافقتها ايلينا: «هذا ما فكرت به.»

أمرت جونز بتجهيز كل شيء فوراً، وذهبت وإياها إلى خزانة الثياب لتقررا أي ثوب سترتديه الليلة ايلينا.

كان هناك ثوباً جميلاً جداً، الدانتيل يغطي تنورتها الزرقاء المصنوعة من الساتان السميك.

لم يكن مناسباً تماماً لامرأة كبيرة في السن. لكن فكرت ايلينا انه إذا أكثرت من ارتداء المجوهرات التي أعطتها إياها دنيز، لا شك أنها ستبدو أكبر سناً.

صففت جونز لها شعرها بطريقة غير عادية، بعدها وضعت عقداً كبيراً من الألماس مع قرطين كبيرين مناسبين له.

فكرت ايلينا أنه من الغباء أن لا تبدو بأجمل ما يمكن.

قالت لجونز: «أشكرك كثيراً.»

قالت جونز:

«الثوب واسع قليلاً عند ظهرك، سأقطبه قليلاً الآن، وعندما تعودين يا سيدتي اقرعي الجرس لي لأساعدك في نزعه. وعند الغد سأخيطه جيداً.»

شكرتها ايلينا ثانية.

التقطت الشال الذي يناسب الثوب، فلقد كان الطقس

حاراً جداً لوضع أي معطف من المعاطف التي أحضرتها دنيز.

لذلك أخذت شالاً من ذات قماش الفستان ولكنه مطرز بالدانتيل على جوانبه.

قالت جونز بثقة: «تبدين جميلة، يا سيدتي!»

دقائق قليلة مرت حتى أعلن خادم عن وصول العربة وأنها بانتظارها. أسرعت ايلينا بنزول الدرج وهي فرحة.

قفزت إلى العربة المقفلة.

ما ان فعلت ذلك حتى فكرت أن اللورد تفرتون محظوظ جداً ليستعمل عربات أصدقائه كما أنه يمكث في بيوتهم.

بدأت العربة بالمسير وتساءلت ترى إلى أين سيأخذها اللورد تفرتون؟

هل سيكون مكاناً أجمل من المطعم الذي تناولت فيه الغداء معه؟

كان الليل قد أرخى سدوله، ومن الصعب عليها أن ترى الشوارع التي كانت تمر بها.

بطريقة غير متوقعة لم تعد على الشارع العام، وعوضاً عن ذلك أخذت العربة تسير بين الأشجار.

فكرت ايلينا لا شك أنها في منتزه.

بعدها توقفت العربة ورأت الكثير من الأنوار.

لم تر أياً من المباني الضخمة، بل كان هناك باب مفتوح على مصراعيه.

خرجت من العربة.

لا شك أن اللورد تفرتون فكر بمكان مختلف للعشاء الليلة.

ما ان سارت قليلاً حتى أدركت أنه لا توجد قاعة واسعة، كما توقعت، بل رأت تراساً طويلاً ينتهي بلمعان الماء في البحيرة.

سؤال غريب قفز إلى ذهنها.

ما ان شعرت بالحيرة، حتى ظهر أمامها رجل يقف بين عامودين.

كان الأمير البرتو.

حدقت ايلينا به بدهشة حتى قال: «أهلاً وسهلاً، جميلتي الرائعة! لا أستطيع التعبير عن مدى سروري لوجودك معي الآن.»

سألت ايلينا: «أين أنا؟ لقد تلقيت دعوة للعشاء من اللورد تفرتون.»

ضحك الأمير وقال: «بما أنني أعلم أن اللورد سيتناول العشاء مع الملك، فكرت أنه توفيراً للنقاش سأدعوك للعشاء معي باسمه.»

شهقت ايلينا وقالت معترضة: «كيف تفعل امراً شائناً كهذا! أعتقد أن هذا خداع منك!»

أجاب: «تصبحين جميلة عندما تغضبين! في الحقيقة، أنت جميلة في أي مزاج كنت فيه.»

تابع كلامه قائلاً: «تعالي. عشاؤنا جاهز وأعتقد ان كلينا جائع.»

شعرت ايلينا أن من الصعب عليها الاعتراض.

فلقد علمت أين هي الآن.

إنها في مطعم صغير يطلق عليه الاسكولبيوس في منتزه بورغيز.

لقد قرأت عنه ورأته عن بعد. ولم تتخيل نفسها ان تجلس فيه في يوم من الأيام.

الآن تنبهت إلى أن طاولة العشاء قد جهزت لشخصين على التراس.

على جانب الطاولة كان هناك صحون موضوعة بطريقة منسقة ومنظمة.

لم يكن هناك أي أثر لوجود خدم.

أدركت ايلينا أنها بمفردها مع الأمير وشعرت بتوتر كبير في اعصابها.

في ذات الوقت، كانت مدركة تماماً أنها إذا حاولت الهروب منه سيمنعها بسهولة من فعل ذلك.

زيادة على ذلك أنه يستحيل عليها العودة إلى البيت من المنتزه، فهي تجهل الطريق تماماً.

قالت لنفسها: علي أن اتصرف كسيدة مدركة تماماً ما تفعل وهذا ما أتظاهر به.

خلعت قفازيها وجلست امام الطاولة التي كانت مزدانة بقطع من ذهب.

كان هناك مجموعة من الزهور البيضاء الرائعة أيضاً.

وضع الأمير صحناً من المقبلات أمامها قبل أن يجلس على الطرف الآخر من الطاولة.

قال:

«أريد أن أكلمك. لقد حلمت كثيراً أن أكون أنا وإياك بمفردنا وأخبرك كم أنت جميلة.»

قالت ايلينا:

«أفضل أكثر أن تخبرني عن هذا المكان، إنه جميل جداً وأتساءل في أي سنة بني؟»

أجاب الأمير: «عام ١٧٨٧، والآن أخبريني أنت في أي سنة ولدت؟»

وجدت ايلينا من الصعب عليها ابقاء الحديث بعيداً عنها.

فكان الأمير يكثر من الأسئلة ومن الاطراءات وهو ينظر إليها، كل ذلك كان يشعرها بالاحراج والقلق.

وجدت من الصعوبة أن تعرف ماذا تأكل. فلقد كانت حذرة أن تأكل قليلاً.

لكن بقيت ايلينا تتمنى لو أنها ليست مع الأمير وأنه ليس مسرفاً هكذا، بمجاملاته.

مما لا شك فيه أنه وسيم جداً، مع ذلك وبطريقة ما لا تستطيع تفسيرها لم تشعر بانجذاب نحوه ولا من أي ناحية.

اطراءاته المبالغة كانت تشعرها بعدم الراحة.

كانت تخاف من النظر إلى عينيه المعبرتين.

عندما انتهيا من الطعام قالت:

«لا استطيع ان اتأخر، فدنيز وهنري يتناولان طعام العشاء عند الكونتيسة دواغير، وهي تتوقع أن أنتظرهما عندما يعودا.»

ضحك الأمير وقال: «لا بد أنهما يخدعانك، لأنني متأكد من أن هنري وصغيرتك يتعشيان في مكان ما وهما سعيدان جداً مثلنا.»

ردت ايلينا بسرعة:

«انني غير سعيدة اطلاقاً لوجودي بمفردي معك، لقد أحضرتني إلى هنا بخديعة، وأنا أصر عليك أن تعيدني بسرعة.»

سألها الأمير: «كيف تطلبين مني أن أفعل أمراً سخيفاً كهذا؟»

نهض عن الكرسي ومد يده وهو يقول: «أريد أن أريك ماذا يحتوي هذا المكان.»

ببطء ولأنها لا تريد أن تلمس يده، نهضت ايلينا محاولة أن تتجنب الاقتراب منه.

كان هناك الممر الصغير الذي دخلت منه.

بعدها أدركت أن هناك غرف على جوانبه.

قال الأمير: «هذا ما أريد ان أدعك تشاهدينه.»

فتح الباب ورأت غرفة صغيرة جميلة الاثاث والترتيب.

كان هناك ديوان كبير في إحدى زواياها وبجانبه طاولة كبيرة.

في الجهة المقابلة تطل النافذة على المنتزه.

كما أن الغرفة مضاءة بالشمعدانات وكل واحد يحمل ثلاث شمعات.

ما ان نظرت ايلينا حولها حتى تنبهت ان الأمير خلع معطف السهرة.

ورماه جانباً على إحدى الكراسي.

قالت بصوت متوتر:

«شكراً لك لأنك اريتني هذه الغرفة الرائعة، والآن علي الذهاب.»

سألها:

«هل حقاً تعتقدين أنني سأدعك ترحلين؟»

صرخت ايلينا من الرعب. وركضت مسرعة بعيداً عنه من خلال الباب الذي تركه مفتوحاً باتجاه التراس.

نظرت من جنب إلى آخر. فأدركت برعب أن هذا المكان قد بني على البحيرة.

ليس هنالك أي طريق من كل جوانب التراس تستطيع من خلالها الوصول إلى المنتزه.

ولأن الأمير كان متنبهاً من أن لا مفر لها، فلم يلحق بها.

بل سار ببطء حتى وقف إلى جانبها.

قال: «انك خجولة ومحتارة، وهذا، يا عزيزتي يؤثر بي كثيراً!»

وعلمت ايلينا بيأس ان لا مجال لها للهرب.

سيعيدها إلى الغرفة التي غادراها الآن... ومهما اعترضت لن يجدي ذلك نفعاً.

وبدأت تفكر بطريقة للهرب...

بلحظة واحدة علمت الجواب.

لدهشة الأمير ابتعدت عنه، وليس كما توقع من جانب إلى آخر. لكن مباشرة إلى البحيرة.

ارتفعت المياه إلى ركبتيها ثم إلى خصرها.

* * *

غادر اللورد تفرتون القصر بأقصى سرعة استطاعها بعد أن تناول العشاء مع الملك والملكة.

كان نوعاً من التقدير والمحاباة أن يدعى إلى عشاء غير رسمي.

لكنه في الوقت نفسه وجد أنه واجب ثقيل ولم يكن لديه أي رغبة في البقاء بعدما انتهى من الطعام.

وقد شكرهما بوفرة تعبيراً عن حسن ضيافتهما.

قبل الدعوة من الملك لمناقشة الاقتراحات التي قدمها رئيس الوزراء.

هذه الاقتراحات هي سبب قدومه إلى روما.

تنهد بارتياح قبل أن يقفز إلى عربته.

كان الوقت ما زال باكراً، وتساءل إذا صعدت ايلينا إلى غرفتها كي تنام.

كان ما زال يفكر أن ردة فعلها عند رؤية المدرج في الصباح أمر محير.

كما قال لها بصدق انه هكذا شعر تماماً عندما زاره للمرة الأولى، حين كان في العشرين من عمره وما زال تلميذاً في اوكسفورد.

لم يعرف أحداً غيرها تأثر وأحس مثلما أحست هي عند رؤية المدرج الشهير.

فكر أنه بلا شك هناك حدث مشترك ما بينه وبين السيدة لانغلي، وهذا أمر غير متوقع.

انها جميلة جداً وهذا ما لاحظه دائماً.

لكن هناك أمراً محيراً في جمالها لا يستطيع أبداً تفسيره.

توقفت العربة خارج المنزل فترجل منها ودخل إلى القاعة.

انتظر من الخادم أن يأخذ معطفه عن كتفيه.

قبل أن يفعل ذلك، ظهرت الخادمة جونز التي أتت بصحبة ابنة عمه من لندن.

سألت: «لكن اين السيدة، يا سيدي، ألم ترجع إلى المنزل معك؟»

حدق اللورد تفرتون بها.

سأل: «تعود معي؟ عمن تتكلمين؟»

شرحت جونز قائلة: «قالت السيدة انها ستذهب للعشاء مع سيادتك، وانتي بانتظارها لكي أساعدها في ترتيب ثوبها.»

أجاب اللورد تفرتون:

«أخشى أنك مخطئة، لقد تناولت العشاء في القصر مع الملك.»

حدقت جونز به بذهول.

«إنه أمر غريب. يا سيدي! وصلت رسالة لها تقول انك سترسل لها عربة عند التاسعة مساء.»

للحظة بقي اللورد تفرتون هادئاً.

بعدها تصرف بسرعة.

قال بحدة للخادم الذي يقف قريباً من الباب: «اوقف العربة.»

كانت الأحصنة قد انطلقت للتو.

أسرع الخادم ينادي الحوذي الذي سمعه وأوقف العربة فوراً.

نظر اللورد تفرتون إلى باقي الخدم. وسأل: «من الذي استلم الرسالة للسيدة.»

تقدم أحد الخدم الذي لا يجيد الانكليزية وقال: «أنا. يا سيدي.»

سأله: «ومن أحضرها؟»

«رجل، يرتدي زي خاص للخدم، يا سيدي.»

«هل لاحظت زي الخدم لمن؟»

فكر الرجل للحظة ثم قال:

«أعتقد أن حضرتك ذكر ذلك. إنه الزي الخاص لأمير بورغيز.»

لم ينتظر اللورد تفرتون ليسمع المزيد.

ركض على الدرج وقفز سريعاً إلى العربة.

ما ان فعل ذلك حتى أعطى التعليمات للحوذي إلى أين يذهب.

على العشاء كان قد أصغى لامرأة كانت تجلس إلى جانبه.

أخبرته عن فضائح كثيرة تجري في روما.

قالت:

«إنه الأمير البرتو، الذي يبقينا دائماً في حيرة عما سيفعله، فهو ولد مدلل وجريء، لكننا بالطبع نستمع إلى أخباره، فهو دائماً يجعلنا نتحذر عمن ستكون حبه الجديد.»

لم يكن اللورد تفرتون مهتماً بالموضوع اطلاقاً.

فكر أن الأمير مجرد شاب مزعج وممل، لكن المرأة الجالسة إلى جانبه تابعت: «يأخذ تلك التي يختارها إلى مطعم يوناني صغير في منتزه بورغيز ولقد صنع هناك غرفة رائعة في آخر المبنى وجعل كل روما تتساءل عن التي ستدخلها من جديد.»

ضحكت، والرجل الذي يجلس على الجانب الآخر وافقها الرأي، وزاد بعض المعلومات التي سمعها أيضاً.

علم الآن من الذي خطف ايلينا في غيابه وأين هي الآن.

كان غاضباً، غاضباً جداً من وقاحة تصرفه.

لكن في ذات الوقت، عقله البارد والذي يحسب الأمور جيداً كان يفكر باضطراد.

سيكون الأمر خطأ إذا جعل من الحادثة نزاعاً دبلوماسياً.

كما انه من المحتمل أن تعرقل مساعي المهمة المرسل لأجلها من قبل رئيس الوزراء...

* * *

واقفة في الماء إلى خصرها، شعرت ايلينا بالخوف لكي تتقدم خطوة بعد.

إذ كان هناك منحدرات في قعر البحيرة فلا شك انها ستغرق.

إنها تعرف السباحة ولكنها ليست ماهرة.

علمت أنها بذلك ستدفع الأمير للحاق بها لتخليصها من الغرق.

وقف عند نهاية التراس متعجباً من تصرفها.

علمت أنه يتساءل الآن ما الذي عليه أن يفعله.

قال أخيراً: «عودي، ايلينا، لقد نزلت إلى الماء بدون سبب. عودي كي تجففي ثيابك ولا تتعرضي للمرض من البرد.»

لم تجب ايلينا.

كانت تحاول التفكير بطريقة لا تدعها تفقد توازنها.

لكنها شعرت بيأس إذ انها عاجلاً أم آجلاً ستعود إلى هناك.

بعدها شعرت انها ستغرق اكثر إذا تحركت بعصبية.

في تلك اللحظة سمعت صوتاً أجش تعرفه جيداً يقول:

«مساء الخير، ايها الأمير، فيما كنت أمر، فكرت أن آخذ معي السيدة لانغلي إلى البيت.»

أدار الأمير رأسه وهو مندهش للغاية.

كان اللورد تفرتون يقف وراءه تماماً.

لم يتوقع قط حضوره المفاجيء، فلم يجد ما يقوله.

سار اللورد تفرتون، إلى نهاية التراس.

بعدها نظر والدهشة على وجهه إلى ايلينا وهي تقف في البحيرة.

قال: «إنها ليلة حارة، سيدة لانغلي، لكن أعتقد أنه ليس من الصواب أن تبقي في حالتك الحاضرة هناك طويلاً.»

وبشعورٍ من الراحة لا يقاوم بدأت ايلينا بالعودة على مهل.

أطلق الأمير تمتمة من بين شفتيه وسار بعيداً.

عندما وصلت ايلينا إلى المكان الذي يقف فيه اللورد تفرتون ساعدها على الوصول إلى المكان الذي يقف فيه.

كانت المياه تتساقط من ثوبها.

من غير أن يقول أي كلمة نزع معطفه لتضعه حول كتفيها.

بعد ان فعل ذلك سار معها إلى الخارج عبر الممر.

كان الباب مفتوحاً والعربة تقف خارجاً.

قالت ايلينا هامسة:

«لا شك أنني سأجعل العربة رطبة.»

أجاب اللورد تفرتون: «ليس للأمر أهمية.»

سار من الجهة الثانية للعربة وجلس إلى جانبها.

كانت يداها ترتجفان من التوتر.

ما ان انطلقت العربة حتى همست: «كنت أعتقد أنني ذاهبة للعشاء معك.»

أجاب اللورد تفرتون: «علمت هذا عندما عدت إلى البيت.»

«اشكرك لأنك أتيت... كنت... خائفة... خائفة جداً ولم يكن... هناك... من مجال آخر... للهروب... منه...»

كانت الكلمات تخرج من فمها متلعثمة.

قال اللورد تفرتون:

«انسي الأمر! كما أنها غلطة كبرى منك ان أخبرت أحداً عما حدث الليلة.»

«بالطبع... لن أخبر... أحداً بالموضوع. كيف... تفكر... انني أستطيع؟»

حاولت أن تتحدث بجرأة. لكن في ذات الوقت كانت على وشك البكاء.

لم يجب اللورد تفرتون وأكملا الطريق صامتين.

كانت المسافة قصيرة. وعندما وصلا إلى البيت قال اللورد تفرتون:

«اصعدي إلى غرفتك حالاً وإذا سألتك الخادمة عما حدث قولي إنه مجرد حادث.»

كان يتكلم بحدة وكأنه يعاقب تلميذاً مشاغباً.

ما ان صعدت ايلينا إلى غرفتها حتى فكرت بيأس أنه لا شك يحتقرها.

كما أنه خجل بها لأنها غبية.

صرخت جونز من الرعب لحالة ثوبها وهي تساعدها بنزعه، لكنها قالت:

«لا تهتمي، يا سيدتي، سأعلقه حتى ينشف بعدها سأعيده أجمل مما كان.»

شكرتها ايلينا وذهبت إلى سريرها.

فكرت في ظلام الليل كم هي محظوظة لقدوم اللورد تفرتون في الوقت المناسب.

كانت متأكدة لولاه لما كان لها أي مهرب من الأمير.

فلقد كان على وشك الوصول إليها، ولن يهتم مهما صرخت أو اعترضت.

همست:

«لقد أنقذني اللورد تفرتون!»

علمت أنه الوحيد الذي كان بهذا الذكاء ليعلم مكان وجودها.

والوحيد الذي لم يجعل من الأمر حادثاً مأساوياً.

فالأمير لم يغضب منه أو يتحداه بنزاع حتى الموت.

ما زال هذا النوع من النزاعات مشهوراً في ايطاليا لكنه يحدث، بالسر، في لندن.

فكرت:

«لا شك أنه سيكون غاضباً مني كثيراً غداً.»

بعدها علمت أنها لن تتمكن من أن تتحمل هذا العبء.

لم تكن تريد أن يحتقرها من أجل غبائها بل تريد أن يعجب بها.

فكرة غير معقولة بدت لها بوضوح.

انها مغرمة وتحب بجنون.

انها مغرمة بالورد تفرتون الذي لا يراها الا مجرد مزعجة ومغفلة.

قالت في الظلام:

«إني... أحبه! اني... أحبه!»

شعرت باحساس غريب في صدرها، وأدركت أنها عاشت ذلك الاحساس من قبل عندما شاهدته لأول مرة.

الفصل السابع

استيقظت ايلينا فجأة.

هناك من يهز كتفيها كي تنهض.

فتحت عينيها ورأت بجانبها دنيز.

سألت: «ماذا هناك؟»

شعرت وكأنها لم تنم الا بضع دقائق، مع انها في الواقع، نامت عدة ساعات.

قالت دنيز:

«آسفة لازعاجك، يا عزيزتي، لكن علينا الرحيل إلى انكلترا حالاً.»

شهقت ايلينا وجلست في سريرها.

سألت: «ما... ماذا حدث؟»

قالت دنيز: «عندما عاد هنري مساءً إلى بيت جدته، وجد برقية من انكلترا تفيد ان اخته، والتي هي اكبر منه وأرملة، مريضة جداً.»

قالت ايلينا: «يؤسفني ذلك.»

تابعت دنيز:

«لقد حضر إلى هنا عند الثامنة صباحاً، ونزلت إلى القاعة لرؤيته. انه الآن ينظم مع ابن عمي ماركوس كيفية سفرنا بعربته النقالة.»

سألت ايلينا بصوت خفيض: «وسنرحل... على الفور؟»

قالت دنيز: «لديك ساعة من الوقت قبل ان نغادر، ما ان

تنتهي جونز من توضيب امتعتي، ستأتي لمساعدتك، لكن اعتقد ان عليك البدء حالاً.»

وافقتها ايلينا: «اجل... بالطبع.»

خرجت دنيز من الغرفة ونهضت ايلينا من سريرها.

سارت نحو النافذة لتنظر إلى ابنية روما.

إذن هذه هي النهاية.

لقد اتت إلى هذه المدينة الرائعة لفترة قصيرة جداً.

والآن قصة الاحلام التي تعيشها انتهت وعليها ان تعود إلى انكلترا لتعود إلى ذاتها.

شعرت كأن حجراً كبيراً يطبق على صدرها.

علمت ان السبب الحقيقي لحزنها ليس بسبب بعدها عن روما، بل لبعدها عن اللورد تفرتون.

كما علمت انه لن يعود معهم أيضاً. فهو لم ينته بعد من العمل الذي قدم لأجله إلى روما.

وهذا يعني انها لن تراه ثانية.

بينما كانت تفكر ماذا يعني لها هذا دخلت خادمتان ايطاليتان إلى الغرفة لمساعدتها على توضيب اشيائها.

ارتدت ايلينا ثيابها بسرعة.

في الوقت الذي نزلت فيه لتناول الفطور كانت الخادمتان قد افرغتا الخزانة وكل الجوارير.

كان هناك القليل بعد ليوضع في حقيبة أخرى.

لم يكن هناك احد في غرفة الطعام.

عندما احضر الخادم ابريقاً ساخناً من القهوة لم تتمكن ايلينا الا ان تسأل:

«هل تناول اللورد الفطور؟»

«لقد خرج اللورد باكراً، يا سيدتي.»

علمت ايلينا ان أملها الأخير قد خاب أيضاً.

عندما دخل هنري قال لها:

«اني آسف جداً، سيدة لانغلي، إذ نغادر بهذه السرعة، لكنني متأكد انك تتفهمين ان علي العودة إلى البلاد فوراً حيث ان اختي مريضة جداً.»

وافقته ايلينا: «بالطبع عليك ذلك.»

تابع هنري: «انها تحت اشراف الاطباء منذ فترة طويلة، لكن لم يعرفوا بالضبط ما بها. اتمنى ان لا يكون الوضع خطيراً.»

تأوهت ايلينا بنوع من الأسى. وقبل ان تقول أية كلمة تابع:

«اعلم انك تفهمين ان علي التعامل مع الوضع كيفما كان، عندما اصل إلى انكلترا، حتى ولو اضطرت إلى اجراء عملية.»

توقف لفترة ثم تابع: «آه، بالمناسبة، طلب مني اللورد تفرتون ان اعتذر منك عن اضطراره للرحيل قبل توديعك. لديه موعد مهم جداً مع الملك. وهذا أمر بالطبع لا يستطيع تقديم طلب لارجائه.»

قالت ايلينا: «افهم ذلك.»

صعدت إلى الطابق العلوي واعطت الخادمات بعض النقود.

بعدها امسكت بالمعطف السميك الذي كانت ترتديه في رحلتها الأولى.

عندما عادت ثانية إلى القاعة وصلت العربة.

الخادم الذي اوصلهم إلى ايطاليا كان ينتظرهم كي يستلم الامتعة.

ذهبوا معاً، هم الثلاثة وجلسوا في المقعد الخلفي للعربة.

كان عملاً عظيماً ان بهذا الوقت القليل قد ربطت مقصورة اللورد تفرتون بالقطار السريع.

كل ذلك، شرحت دنيز، يعود إلى مقام ابن عمها كسفير خاص لانكلترا.

لذلك كل ما يطلبه يتم القيام به بسرعة.

صعدوا إلى القطار. وتذكرت ايلينا كيف ان اللورد تفرتون قد سافر معهما على مضض في الرحلة الماضية.

لقد جعل الأمر واضحاً من البداية انه لا يرغب برفقتهما.

لكنه ابدى كثيراً من اللطف نحوها عندما اصبحوا في روما.

فهي لن تنسى ابداً اصطحابه لها في الأمس إلى المدرج الشهير وبعد ذلك تناولت الغداء معه.

ثم وقوفها في الماء وقد تحمل الوقوع في المشاكل لينقذها من الأمير البرتو.

ربما مع كل ذلك، إذا لم يكن هناك أمر آخر، يشعر ببعض الصداقة نحوها.

عندها، شعرت كضربة خنجر في قلبها، وفهمت امراً مهماً.

فهو ما زال يعتبرها امرأة ناضجة لا فتاة يافعة كما هي عليه اصلاً.

اذا حدث وعلم الحقيقة فإنه لن يرغب برؤيتها ابداً.

كما انه ما كان عرض نفسه لأي مشكلة، لينقذها من ورطتها.

هناك أمر واحد متأكدة منه تماماً.

فقد رأت كيف يتصرف مع دنيز وعلمت ان لا وقت لديه ليحل مشاكل الفتيات.

ضجيج دواليب القطار تحتها كان يقول دوماً وتكراراً.

«لقد انتهى الأمر... انتهى... انتهى... انتهى...»

• • •

قال اللورد تفرتون ان عليهم ان يأخذوا سلالاً من الطعام في العودة إلى انكلترا.

لكن رئيس الطهاة في روما لم يكن لديه متسع من الوقت ليحضر كل شيء. لذلك لم يكن الطعام شهياً ومتنوعاً كما كان من قبل.

قام بخدمتهم وهم في القطار، خادم هنري، وقد كان يقظاً ولطيفاً.

لكن بطريقة ما وجدت ايلينا كل شيء مختلف وممل.

شعرت بالسعادة لكونها متعبة وبذلك تجد عذراً لتذهب إلى سريرها باكراً.

تركت دنيز تتكلم مع هنري في غرفة الاستقبال.

مع ذلك بقيت مستيقظة حتى دخلت دنيز الغرفة كي تنام.

ارتدت دنيز ثياب النوم، بعدها قالت لايلينا بصوت منخفض:

«هناك أمر يجب ان اخبرك به، يا عزيزتي.»

قالت ايلينا بنعومة: «ما الأمر؟»

همست دنيز بصوت منخفض كي لا يسمعها أحد من الغرفة المجاورة: «أنت تفهمين، اننا عندما نصل لندن عليك الذهاب إلى بيتك حالاً؟»

وافقتها ايلينا: «اجل، بالطبع... اعلم ذلك.»

قالت دنيز: «لا رغبة لدي ان يعلم هنري اني كذبت عليه بشأنك، مع انه سامحني عن التصرف السيء الذي قمت به مع تشارلز، لكنه لم ينس ذلك. يجب ان لا افعل شيئاً يراه غير معقول أو سيء.»

قالت ايلينا:

«افهم ذلك تماماً، وما ان نصل إلى لندن حتى اذهب مباشرة إلى البيت.»

تابعت دنيز الحديث: «ما اتفقنا عليه، اذا كان مرض أخته خطيراً ستتزوج بسرعة قبل وفاتها.»

سكتت قليلاً قبل ان تتابع:

«انت تفهمين اكثر من أي شخص آخر انني لا ارغب بالانتظار مدة ستة اشهر لتنتهي فترة الحداد كي نعود ونتزوج.»

اجابت ايلينا:

«اعتقد انه من الحكمة ان تتزوجي منه بسرعة، حتى ولو اقمت زفافاً سريعاً.»

قالت دنيز:

«هذا ما قررناه، والذي يزعجني اكثر من أي شيء آخر انك لن تتمكني من حضور الزفاف.»

وعدتها ايلينا: «ساتمنى لك الحياة السعيدة حيثما اكون.»

تابعت دنيز:

«كل ما آمله، انه ربما بعد سنة أو اكثر، استطيع اخبار هنري ان والدتك توفيت وانك عزيزة علي كانت لي وقد عشنا سنوات طويلة معاً. عندها بالطبع نستطيع رؤية بعضنا ثانية. بعدها لن يشك بأمرك حتى ولو كنت تشبهين والدتك.»

قالت ايلينا: «اعتقد انك فكرت بالأمر جيداً.»

اكملت دنيز: «اعلم انني ابدو انانية جداً، لكنني اشك، مع انني سعيدة جداً مع هنري، انه مازال غير متأكد من حبي له، لذلك عليّ ان اكون حذرة.»

أجابت ايلينا: «لا تقلقي سأختفي وعندما سنتقابل ثانية لن يكون له ادنى شك انني لست سوى مجرد فتاة... واصغر بسنة منك.»

ضحكت دنيز قبل ان تقول: «كان ذكاءً حاداً مني ان اطلب مرافقتك، فلقد كنت رائعة تماماً! فأنا اعلم انه لو حضرت أي وصيفة أخرى معي لما سمحت لي بالبقاء مع هنري ولو لدقيقة بمفردنا، ولما تمكنت من التحدث معه بحرية واقنعته بحبي له.»

قالت ايلينا: «والآن ستتزوجان وتعيشان بسعادة طول العمر، لكن اعتقد يجب ان تكوني مدركة وتتزوجي بأسرع ما يمكن.»

قالت دنيز: «سنفعل ذلك، عزيزتي ايلينا، لن استطيع ابداً ان اشكرك كفاية.»

وضعت يدها على سرير ايلينا وامسكت بيدها وقالت:

«اما الذي سأفعله، سأرسل لك كل ثيابي عندما اشتري جهاز العرس كما انني كتبت لك شيكاً بمئتي باوند ولقد وضعته في حقيبتك قبل ان اذهب إلى السرير.»

اعترضت ايلينا: «انه مبلغ... كبير... لا استطيع ان آخذه.»

اجابت دنيز: «لا تكوني سخيفة، عليك ان تعيشي، ولا استطيع تحمل فكرة انك ستعملين في اماكن ليست من مستواك، هذا الشيك سيبقيك براحة حتى نعود ونلتقي في المستقبل.»

بدأت ايلينا بالقول: «لكن أنا...»

قاطعتها دنيز: «لا تناقشي! سيزعجني الأمر ويجعلني قلقة عليك حتى في شهر العسل. وانت لن تكوني قاسية لتفعلي بي ذلك.»

«شكراً لك، عزيزتي، شكراً لك.» كانت دنيز لطيفة وحنونة معها كثيراً مما جعلها تشعر برغبة في البكاء.

لكنها علمت في الوقت نفسه، ان ذلك ليس السبب الوحيد لتساقط دموعها.

* * *

كانوا محظوظين لعلمهم ان ليس عليهم تغيير القطار في باريس.

لكنهم توقفوا لفترة طويلة قبل ان يعاودوا الانطلاق إلى كالاس.

في الوقت الذي وصلوا فيه إلى لندن كان التعب واضحاً على الجميع.

كان هنري في غاية القلق على شقيقته.

توقعت ايلينا انه كان خائفاً من ان تكون قد توفيت وانتهى الأمر.

عندها سيكون من الصعب عليه الزواج من دنيز قبل انقضاء عدة اشهر.

لقد ارسل تلغراف يبلغ فيه عن وصوله، ومما لا شك فيه ان أكثر من عربة كانت بانتظاره.

كما ان باستطاعة الحوذي ان يخبره عن صحة اخته.

عربة أخرى كانت بانتظار ايلينا لتنقلها إلى محطة بادنغتون.

قال الخادم ان هناك محطة قريبة جداً تستطيع منها ان تذهب إلى قريتها.

تستطيع الركوب منها بالقطار لمدة ثلاثة ارباع الساعة.

تطبيقاً لتعليمات هنري بقي الخادم برفقتها.

جلست في غرفة الانتظار حتى اعلمها الخادم واوصلها إلى القطار حيث حجز لها مقصورة فيه.

فكرت انها لا تستطيع ان تؤمن كلفتها.

لكنها علمت ان هنري أو دنيز قد اهتما بأمر كل شيء.

كل ما عليها هو ان تشكر الخادم وقد فعلت ذلك بامتنان.

ودعها كما انه دفع بعض النقود للخادم الذي سيحمل لها الامتعة.

فكرت ايلينا ما ان ترك القطار المحطة: ان دنيز لطيفة جداً، وصحبة.

بعدها شعرت انها تبعد اكثر واكثر عن اللورد تفرتون.

توقعت انه الآن يتمتع باقامته بمفرده في البيت بروما.

قالت في نفسها: «عليّ ان اكون منطقية، لقد كانت مجرد مغامرة. وانني ساتذكرها دائماً، لكنها لم تعد جزءاً من حياتي وعلي ان اعود إلى حياتي السابقة كما كنت اعيشها.»

الذي كانت تفكر فيه بالضبط ان عليها ان تتعود ان تحيا بدون ماركوس تفرتون.

مهما حاولت ان تفكر بمنطق، كانت مرارة الحب وعذابه مازالت في قلبها.

كان حبها ينمو بسرعة كسرعة القطار الذي كان يقلها بعيداً عن حياته ويعيدها إلى حياتها السابقة.

* * *

مضى خمسة ايام على قدومها إلى البيت.

دخلت ايلينا إلى البيت وهي تحمل رزمة من الورود.

كانت قد ملأت عدة زهريات في غرفة الاستقبال، كما كان هناك زهرية كبيرة من الورد الاحمر.

كان هناك كثيراً من الأمور عليها ان تقوم بها عندما وصلت إلى البيت.

أولاً اعادت ترتيب اغراضها وتنظيف الحقائب.

بعدها ذهبت إلى الوكيل وشكرته على اهتمامه بالبيت.

ثم عادت إلى البيت لتنظر في كل ما فيه باهتمام.

اقامتها في البيت الجميل على قمة الدرج الاسباني جعلها تدرك كم هو مهمل بيتها الآن.

لذلك قررت ان تجعله اكثر جمالاً، لكن بدون تبذير.

نظفت الجدران حتى كل العلامات التي كانت وراء المرايا واللوحات لم تعد موجودة.

غسلت اغطية الكراسي والارائك بالطبع اصبحوا اشد ترتيباً ونظافة. كما قررت ان تخيط القطع التي يبدو عليها التمزق.

ساعدتها السيدة بانكز في تنظيف السجاد حتى بدا وكأنه جديد.

فكرت في أن ليس بالامر مبالغة بل كل شيء بدا معقولاً.

بدت الغرفة افضل بكثير مما كانت عليه كما ان الزهور حلت مكان التحف الصينية.

وضعت الورود على طاولة بقرب النافذة. ما ان رتبتهم بالمزهرية هناك حتى تساءلت لما كل هذا العناء!

من الذي سيرى كل هذه التعديلات التي قامت بها غيرها؟

لكنها علمت بطريقة انه الحب الذي تكنه لرجل لن تراه مجدداً يجعلها صعبة الارضاء.

صعبة الارضاء ليس فقط لأجل بيتها، بل أيضاً لنفسها.

هي واللورد تفرتون قد تشاركا باحساس فريد بالمدرج الروماني.

إذا فكر بها يوماً تريده ان يفكر بها باعجاب. لا تريده ان يفكر يوماً انها فتاة مهملة سائجة ولو كانت هي هكذا.

تريده ان يتذكرها امرأة انيقة، ترتدي افخر الثياب وهو الذي قال عنها انها جميلة جداً.

كان هناك اعجاب قوي في عينيه قبل ان يأخذها للعشاء في قصر بورغيز.

هكذا تريده ان يفكر بها دائماً.

ربما كان هذا تفكير طفولي وغير منطقي!

وعدت انها لن تسمح لنفسها ابداً ان تعود إلى الاكتئاب. وان ترتدي دائماً ثياباً زاهية.

في هذا الصباح ارتدت ثوباً جميلاً اعطتها اياه دنيز.

شعرت انها تبدو فيه شابة جداً.

كان من الموسلين الابيض المطرز وعليه بعض الاشرطة الزرقاء.

كما كان عليه دانتيلا زرقاء على خصره وله عقدة كالفراشة على ظهره.

سرحت شعرها بذات التسريحة التي كانت تسرحها جونز لدنيز.

عندما نظرت إلى نفسها في المرآة شعرت انها جذابة.

انهت ترتيب الزهور في الغرفة. في رأيها كانت الزهور مثلاً عن الجمال الذي عاشته في روما.

تمنت لو تستطيع تقديمهم كهدية للرجل الذي تحب.

حين انتهت من ترتيب كل شيء، عادت إلى النافذة، هل عليها العودة إلى الحديقة، ام تبقى في المنزل؟

فجأة وكأنها تحلم، سمعت صوتاً اجش خلفها.

«كان الباب مفتوحاً، وبما ان لا احد اجاب على الجرس، دخلت!»

للحظة فكرت ان ما تسمعه هو فقط من مخيلتها.

انها احدى القصص التي تعيدها على نفسها.

ادارت برأسها. مع ان الأمر يبدو غير معقول، كان هناك. يقف عند باب غرفة الاستقبال وينظر إليها.

كان من الصعب عليها ان تتحرك، من الصعب عليها تنظيم تنفسها.

سار نحوها وعلمت انه حقيقة.

وانها لا تراه في حلم من احلامها.

اخيراً وصل إلى جانبها. فوجدت ايلينا صوتها.

سألت: «ما... ماذا حدث؟ لم... لماذا... انت هـ... هنا؟

فكرت ان هناك ابتسامة خفيفة على شفتي اللورد تفرتون قبل ان يجيب:

«رغبت في الاعتذار، لأنني لم اتمكن من توديع السيدة لانغلي. قبل ان تغادر روما، لكني واجهت صعوبات جمة في العثور عليها.»

بدت عينا ايلينا وكأنها ملأت وجهها وهي تتمتم:

«انت... انت تريد... ان تجدها؟»

أجاب اللورد تفرتون: «من الطبيعي... اريد ان اجدها! لكن عندما سألت ابنة عمي دنيز عن مكانها، كانت غامضة وتملصت من الاجابة.»

توقف عن الكلام.

لأن ايلينا شعرت ان نظراته فيها الكثير من التفسير نظرت بعيداً عنه.

• كان هناك صمت قليل قبل ان يقول اللورد تفرتون: «وسكوت أيضاً لم يكن متعاوناً، بعدها فكرت ان اسال والد دنيز والذي كان اكثر نفعاً.»

شعرت ايلينا انها مازالت تحبس انفاسها.

فقد كان من المستحيل عليها ان تفكر بطريقة مترابطة.

لمع بذهنها ان اللورد تفرتون لا يعتقدها أمها.

انه يعتقدها كما هي في الواقع... ابنة أمها.

تابع اللورد تفرتون: «كان روبرت سدجويك لطيفاً كفاية ليخبرني اين تعيش السيدة لانغلي، لذلك قمت برحلة إلى لتل بنباري.»

عاد الصمت بينهما قبل ان يضيف: «ما علمته عندما دخلت القرية ان السيدة لانغلي متوفية.»

شدت ايلينا على يديها باظافرها.

كان من الواضح انه ينتظر جواباً. وبعد لحظة قالت:

«اجل... أمي... قد توفيت.»

تابع: «كما علمت أيضاً، ان الجنازة قد تمت منذ أشهر قليلة.»

إذن هو يعلم الحقيقة بأكملها.

نظرت ايلينا إليه وقالت لتدافع عن نفسها: «اعذرني... ارجوك... اعذرني.. لكن دنيز كانت يائسة لرغبتها بالذهاب إلى روما مع وصيفة لها لا تمنعها من

البقاء مع هنري بمفردها... كما انها لا ترغب ان يعتقد انها تتبعه.»

قال اللورد تفرتون مستفهماً: «فتظاهرت انك أمك من اجل ان تقومي بدور الوصيفة لها.»

قالت ايلينا بحزن: «ربما كان عملاً خاطئاً جداً... مني... لكن... دنيز الآن سعيدة... ولم يكن هناك أي سبب لأي شخص... خاصة انت... ان يحزر انني لست... كما حاولت ان ابدو.»

سأل اللورد تفرتون بحدة: «لماذا... خاصة انا؟»

«لانه... ربما كنت صدمت... وربما اخبرت العائلة.»

تأوهت قليلاً ثم توسلت قائلة: «آه... ارجوك... لن تخبر احداً بما حدث؟ لا تريد دنيز ان يعلم هنري أو والدها أو أي شخص من عائلتها بالأمر... فلا بد انهم سيغضبون... منها كثيراً.»

قال اللورد تفرتون:

«هذا أمر طبيعي! فكيف استطاعت التفكير ان فتاة شابة مثلك تكفي لتكون وصيفة؟»

قالت ايلينا:

«اني آسفة... لقد قلت لك اني آسفة، وإذا انت لم تتكلم... لن يعلم احد بالأمر.»

«لكن انا اعرف!»

قالت ايلينا: «لقد اكتشفت الأمر، لكن، ارجوك، اتوسل اليك احتفظ بهذا السر لمصلحة دنيز!»

لم يجب وبعد لحظة قالت:

«آه، لماذا كان عليك القدوم إلى هنا لتكتشف الحقيقة؟»

انا... لا اصدق... ان كل ذلك... بسبب انك لم تقل لي وداعاً... في روما!»

وافقها قائلاً: «لا، بالطبع... هناك سبب آخر.»

نظرت إليه مستفهمة. ما ان فعلت ذلك حتى فكرت كم يبدو وسيماً، وانيقاً.

لأنه كان يقف قريباً منها وكان قلبها يخفق بقوة.

فكرت: احبه... كم احبه... لكن يجب ان لا يكون لديه... ادنى شك بما اشعر به حياله.

كانت تنتظر جواباً على سؤالها.

عندما لم يجب سألته ثانية: «ما... ما هو السبب؟»

فكرت انه ربما للأمر أهمية. لدهشتها، اقترب اللورد تفرتون خطوة إلى الامام.

قال بهدوء تام:

«كان علي ان اعرف، حين رأيت نظرتك الناعمة والبريئة كما بدت لي.»

حدقت ايلينا فيه بتعجب.

قال: «قطعت مسافة طويلة لاعرف الحقيقة من عينيك.»

ونظر إليها مطولاً، ثم رفع اللورد تفرتون رأسه وقال:

«الآن اخبريني... ماذا تشعرين نحوي.»

همست ايلينا: «اني احبك... لم استطع ان امنع نفسي من حبك. اني أحبك... ولقد افتكرت انني لن اراك ثانية.»

كانت تتكلم وعيناها ملأى بالدموع.

قال بصوت عميق جداً:

«وانا أيضاً احبك! لكن كيف استطعت ان تقومي بعمل فظيع

كهذا وان تتظاهري انك امرأة مترفة بدلاً من فتاة لم تذق طعم الحب من قبل؟»

همست ايلينا: «هل بدوت... كثيراً... غير ناضجة؟»

اجاب اللورد تفرتون:

«لقد اعجبتني لأنك كنت جميلة جداً، لكنني كنت افكر انك مثل كل النساء اللاتي تتصرفن في البداية مع كل من تتعرفن إليه. وانك ربما تتظاهرين بالخوف من تصرفات الامير البرتو نحوك.»

سألت ايلينا: «كيف تفكر... بأمر مشين... كهذا... نحوي؟»

علمت الجواب من غير ان يتكلم ولا كلمة.

كان هناك فترة من الصمت بينهما قطعها بعد قليل اللورد تفرتون قائلاً:

«اجل... انت تعرفين الجواب... حتى رأيتك! هل هي الحقيقة انك لم تعرفي احداً من قبل؟»

قالت ايلينا: «لم اعرف احداً... غيرك.»

كان هناك نوع من الصدمة في صوتها وتساقطت بعض الدموع على خديها.

سألها بصوت عميق: «كيف استطعت فعل كل هذا بي؟»

همست: «فعلت ماذا؟»

«جعلتني اشعر بما لم اشعر به تجاه أية امرأة. وهذا يعني انني مغرم بك كثيراً!»

سألت ايلينا:

«هل... هذه هي الحقيقة! ايعقل... ان تكون حقيقة! كيف يمكن... ان تحبني؟»

ابتسم اللورد تفرتون وقال: «ببساطة تامة، واعدك يا غاليتي، ان ما نشعر به الآن ليس الا البداية.»

رأى سؤالاً في عينيها لم تفصح عنه، فقال:

«اني اسألك، يا حبيبتي، متى ترغبين بالزواج مني؟»

شعرت ايلينا ان تفكيرها انقلب انقلاباً تاماً مئة مرة قبل ان تتمكن من الاجابة.

ثم قالت: «هل انت... حقاً... تسألني... لاصبح زوجتك؟»

اجاب اللورد تفرتون: «وبأسرع ما يمكن.»

فكر وهو يتكلم في انه لم ير في حياته قط امرأة اكثر اشعاعاً وجمالاً وسعادة منها.

بعدها تنهدت ايلينا وسألت: «لكن كيف... يمكن ان نتزوج؟ إذا تزوجت منك سيكون هذا اكثر امر رائع يحدث لي في حياتي كلها! لكن بعدها... سيعلم هنتري الحقيقة... وانا لا استطيع... تدمير سعادة دنيز.»

اجاب اللورد تفرتون بجدية:

«دنيز أو غير دنيز، سأتزوجك بأسرع وقت ممكن، لكن علينا ان نكون اذكياء كما فعلت، ونفكر بحلٍ لن يجعل احداً يشك بالأمر.»

اشارت ايلينا: «لكن انت شككت بالأمر!»

اجاب اللورد تفرتون: «لقد فعلت ذلك بعدما كلمتك، وانا اؤكد لك انه لن يكلمك أحد في المستقبل غيري. كان الأمير البرتو محظوظاً اذ لم اقتله في تلك الليلة... أو على الاقل لم أرمه في البحيرة.»

بطريقة غير متوقعة ضحك اللورد تفرتون.

«فقط أنت يا عزيزتي يمكنك ان تفكري بأمر مدهش هكذا وان تسيري إلى البحيرة لتخلصي نفسك من خطوة الأمير المتهورة.»

«لقد كنت... خائفة... ولم اجد... طريقة أخرى... للهروب.»

قال اللورد تفرتون:

«لقد علمت ذلك، وكان هذا ذكاء خارقاً منك لكنه أمر لن يحدث ثانية معك، فانا لن ابعدك عن ناظري. انك جميلة جداً... مشعة جداً، ولا يمكن ان تكوني وصيفة اطلاقاً، وهذه هي الكلمة المناسبة.»

اقتربت ايلينا منه وسألته: «هل تعتقد حقاً... انني اقبل... ان يكلمني احد غيرك؟ كنت افكر ان الامير بغيض! وبالطبع ادركت لاحقاً انني رأيته هكذا... لأنني كنت فعلاً... مغرمة.»

اجاب اللورد تفرتون: «ليس بالمقدار الكافي الذي ارغب ان تكوني به في المستقبل.»

«هل هذا حقيقة... حقاً حقيقة... انك تحبني؟ شعرت عندما غادرت روما... ان كل دقيقة كانت تبعدني عنك... بعيداً... بعيداً حتى اصبح من الصعب على الوصول اليك.»

قال اللورد تفرتون: «اتيت إلى انكلترا مصمماً على رؤيتك ساعة وصولي، عندما وجدت ان اجوبة دنيز عنك مبهمة، بدأت اشعر بالرعب في حال انني لن اعثر عليك ثانية.»

سألت ايلينا: «لكن... في حال... تزوجنا... إذا خاب

املك... بي؟ في النهاية... فإنني مجرد فتاة... وانت تكره... الفتيات!»

حرك اللورد تفرتون يديه وقال: «هذا أمر لن يكون اطلاقاً.»

«لكن كيف... ستتمكن... من الزواج... بدون أذية دنيز؟»

اجاب اللورد تفرتون: «لقد فكرت بالأمر، وانه في غاية السهولة. انك مسجلة في هذه القرية وبذلك يستطيع الوكيل هنا ان يزوجنا بالسر غداً، صباحاً.»

بدت الدهشة واضحة على وجه ايلينا لكنها لم تتكلم. فتابع قائلاً: «سنغادر فوراً إلى يختي الذي هو في مرفأ فلوكستون.»

تابع هامساً: «سيكون لدينا شهر عسل طويل، يا عزيزتي، وسنعيش حياة كالحلم انا وانت والبحر والسماء.»

تابع بعد قليل: «ما ان نغادر انكلترا، حتى يعلن نبأ وفاة والدتك، وبعد ثلاثة أو اربعة اشهر أو عندما نقرر العودة، نعلن نبأ زواجنا.»

ابتسم لها مؤكداً قبل ان يتابع: «لن يكون هناك سبب لأي كان، حتى ولا لهنري وسكوت ان يشك ان صديقة زوجته التي كانت تتعلم معها، والتي هي الآن زوجتي تظاهرت انها غير نفسها.»

قالت ايلينا: «انك ذكي جداً، وسيكون الأمر لي كالحلم في ان ابقى معك اينما تذهب.»

قال اللورد تفرتون: «هذا ما افكر به بالضبط، لدينا نفس

التفكير، نفس الشعور وانا اعلم يا عزيزتي، انك ستكونين لي حتى آخر العمر.»

«هذا ما ارغب في ان اسمعك تقوله، ولأنني احبك... لا توجد كلمات تعبر عما اكنه لك من العاطفة.»

رأت السعادة في عينيه. فعلمت انها وجدت الحب الحقيقي.

انه الحب الذي كانت تتكلم عنه هي ودنيز عندما كانتا مراهقتين.

انه الحب الذي تمنته على نافورة ترافي.

تمت

الحقيقة المزيفة

لن ينسى وعده لها بألا يغادر القصر دون أن يخبرها.

إلا انه انزعج حين علم انها قد تركت له رسالة وداع دون أن تأتي شخصيا لتوديعه. ورغم انه شعر بالارتياح لمغادرته، إلا انه كان يشعر بالقلق على زيلينا.